جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

فتح الصمد
في
تفسير سورة البلد

الدكتور

محمد حسنى حسين على

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية - مصر

فتح الصمد في تفسير سورة البلد

محمد حسنى حسين على

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر – شبين الكوم المنوفية – مصر

البريد الإلكترونى: Mohammed majd. adv@azhar. edu. eg

ملخص البحث

هذا البحث في رحاب تفسير سورة البلد تفسيرا تحليليا لغالب مفرداتها من خلال المعانى اللغوية والتركيبية وما تكشفه من أحكام وسنن في التعامل الإنسانى.

وقد سرت في البحث على منهجين هما: المنهج التحليلى والمنهج الإستنباطى.

حاولت فيه الكشف عن جانب من عظمة البيان في النص القرآنى لسورة البلد بما فيه من بليغ التعبير وصادق الهداية، تلك السورة الكاشفة لجوانب من طغيان النفس البشرية في مواجهة رسالات الإصلاح التى جاء بها الرسل وفى القلب منهم سيدنا الأعظم رسول الله (ﷺ)، حيث استحلال المشركين ايذائه طغيانا منهم بمدد النعم الربانية التى منحوها قوة ومالا، ثم إلى عرض سبل الهلاك وأطواق النجاة وعاقبة السالكين للطريقين. وانتهيت إلى ضرورة إظهار الدراسات التفسيرية التى تعنى بإظهار وجوه الهدايات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: فتح الصمد – تفسير سورة البلد – حل – الكبد – العقبة – فك الرقبة – المسغبة – مؤصدة.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

Fath Al-Samad in the interpretation of Surat Al-Balad

Mohamed Hosni Hussein Ali
Department of Interpretation and Quranic Sciences - Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah - Al-Azhar University Shebin El-Kom - Menoufia - Egypt.
E-mail: Mohammed majd. adv@azhar. edu. eg

Research Summary

This research is in the context of the interpretation of Surat Al-Balad, an analytical interpretation of most of its vocabulary through the linguistic and structural meanings, and what it reveals from the rulings and Sunnahs in human interaction.

In the research, I followed two approaches: the analytical method and the deductive method.

In it I tried to reveal an aspect of the greatness of the statement in the Qur'anic text of Surat Al-Balad, with its eloquent expression and sincere guidance, that Surah revealing aspects of the tyranny of the human soul in the face of the messages of reform that were brought by the messengers and in the heart of them the greatest, the Messenger of God, peace be upon him, where The polytheists took it as lawful to harm him، out of tyranny, by extending the divine blessings they gave them strength and money, then to presenting the ways of destruction, lifelines, and the consequences of those who take the two paths.

Keywords: Fath Al-Samad - Interpretation of Surat Al-Balad - Solution - Liver - Obstacle - Unwinding the neck - Al-Masghba – Mosadh.

And may God's prayers and peace be upon our master Muhammad and all his family and companions

مُقَدِّمَةٌ

منهج البحث والدراسة

سرت في البحث على وفق المنهج التحليلي وذلك على النحو التالى:

١- التعريف بالسورة الكريمة من خلال تمهيد بين يدى تفسير السورة اذكر فيه عدد آياتها ومكان نزولها وموضوعاتها الرئيسة ومناسبتها لما قبلها.

٢- ذكرت الآيات الكريمة محل الدراسة بين قوسين مع ذكر رقمها.

٣- وضعت عنوان مناسب للآيات البينات.

٤- بينت سبب نزول الآيات التى لها سبب.

٥- ذكرت المباحث العربية.

٦- بينت المعنى العام للآيات مع ذكر مسائل متعلقة بالآيات وما يفاد منها من أحكام وعبر.

٧- خرجت الأحاديث النبوية من مظانها والحكم عليها ما لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

الفهارس.

تمهيد

التعريف بالسورة الكريمة

أولا: اسم السورة الكريمة ووجه التسمية

سميت السورة الكريمة بسورة "البلد" وهو المثبت في المصاحف وعليه جموع المفسرين.

وسماها بسورة لاأقسم الإمام البخارى في صحيحه في كتاب التفسير فقال: "باب تفسير سورة لا أقسم"(١).

"وَذلك إِمَّا عَلَى حِكَايَةِ اللَّفْظِ الْوَاقِعِ فِي أَولهَا، أو لأن المراد الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ وَهُوَ مَكَّةُ(٢).

وقد سمى الخليل إبراهيم (عليه السلام) مكة بهذا الإسم "البلد" حين أتى إليها بولده اسماعيل (عليه السلام) فقال داعيا ربه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾، إبراهيم: ٣٥ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ البقرة: ١٢٦.

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير – باب تفسير سورة لا أقسم – ص١٨٨٦ج٤ ط دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. وينظر فتح القدير للشوكانى ص٥٣٨ ج٥. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

(٢) ينظرالتحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور ص٣٤٥ ج٣٠ ط الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

ثانياً: عدد آياتها

السورة الكريمة عشرون آية باتفاق قال الإمام ابن الجوزي "سورة البلد عشرون آية، بلا خلاف بينهم في شيء منها[١].

ثالثاً: نزول السورة

السورة مكية النزول وعلى هذا القول أكثر المفسرين واقتصروا على ذكره فى تفاسيرهم وحكى الإجماع على ذلك طائفة من المفسرين قال القرطبى "سُورَةُ الْبَلَدِ" مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ[٢].

وقال الأمين الهررى "سورة البلد؛ ويقال لها: سورة لا أقسم، مكية بلا خلاف نزلت بعد سورة ق[٣].

وحكى ابن عطية والنيسابورى الخلاف فقال ابن عطية: "وهي مكية في قول جمهور المفسرين وقال قوم هي مدنية[٤].

وفى بصائر ذوى التمييز "السّورة مكيّة. وآياتها عشرون. وكلماتها اثنتان وثمانون. وحروفها ثلاثمائة وإحدى وخمسون[٥]، وقال صاحب روح البيان"

---

(١) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ص٣٢٢ دار البشائر – بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص٥٩ ج٢٠ ط دار الكتب المصرية – القاهرة– الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٣) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن– العلامة محمد الأمين الهرري ص٥ج٣٢ دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. وينظر التحرير والتنوير ص٣٤٥ج٣٠.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز– عبد الحق بن غالب بن عطية ص٤٥٤ ج٥ دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ط الأولى.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز– مجد الدين الفيروزآبادى ص٥٢٠ ج١– الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

عشرون آية مكية او مدنية الا اربع آيات من أولها(١). والراجح القول بمكيتها لما فيها من خصائص القرآن المكى وإخبار الله بإقامة الرسول فيها ولم تكن إقامته الدائمة بمكة إلا قبل الهجرة.

وهي السورة الخامسة والثلاثون في ترتيب نزول السور، فقد كان نزولها بعد سورة «ق»، وقبل سورة «الطارق» أما ترتيبها في المصحف فهي السورة التسعون.

رابعا: مناسبة السورة لما قبلها

قال أبو حيان (رحمه الله)**:** " وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى ابْتِلَاءَهُ لِلْإِنْسَانِ بِحَالَةِ التَّنْعِيمِ وَحَالَةِ التَّقْدِيرِ، وَذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِ الذَّمِيمَةِ مَا ذَكَرَ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهُ وَحَالُ الْمُؤْمِنِ، أَتْبَعَهُ بِنَوْعٍ مِنِ ابْتِلَائِهِ وَمِنْ حَالِهِ السيّء وَمَا آلَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ(٢).

ويمكن القول بأن من وجوه المناسبة بين السورتين مايلى:

١- القسم بالزمان الشريف فى سورة الفجر "**وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**" الفجر: ١-٤ والقسم بالمكان الشريف فى سورة البلد "**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**" البلد: ١-٢.

وفيهما معا تكون واحدة من أشرف العبادات وهو الحج.

٢- ذكرت سورة الفجر لمحة من هلاك ومصارع الجبارين وذكرت سورة البلد أسباب هذا الهلاك المؤسس على اعتقاد القوة والقدرة التى لا تغلب.

٣- كشفت سورة الفجر عن حال الكافر وذكرت سورة البلد سبل النجاة من هذا الحال.

---

(١) روح البيان- إسماعيل حقي الخلوتي ص ٤٣٣ج١٠ - الناشر: دار الفكر - بيروت.

(٢) البحر المحيط لأبى حيان ص٤٧٩ ج١٠ - دار الفكر - بيروت ١٤٢٠هـ.

خامسا: موضوعات السورة الرئيسة

الموضوع الأول: القسم بمكة المكرمة وساكنها (ﷺ).

الموضوع الثانى: المقسم عليه: الإنسان من المولد إلى الوفاه بين آلام الحياة وآمالها.

الموضوع الثالث: غرور الإنسان ونكـــــران النعم.

الموضوع الرابع: سبل النجاة في اقتحام العقبة.

الموضوع الخامس: بشارة المؤمنين ووعيد الكافرين.

الموضوع الأول
القسم بمكة المكرمة وساكنها (ﷺ)

قال تعالى: "**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**" البلد ١ – ٣.

المباحث العربية:

قوله تعالى: "**لا**" اختلف في "لا" في قوله تعالى: "**لا أقسم**" فقال الأخفش: إنها مزيدة أي: أقسم كما تقدّم في قوله تعالى: "**لا أقسم بيوم القيامة**" القيامة: ١.

وقيل: هي نفي صحيح، والمعنى: لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه.(١) وفى القرطبى "وأجاز الأخفش أيضاً أن تكون بمعنى «أَلاَ»(٢).

قال الخطابي: "سمعت ابن أبي هريرة يحكى عن أبي العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قوله:

"**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ**" فأخبر أنه لا يقسم به ثم أقسم به في قوله: "**وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ**" فقال أيما أحب إليك أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك فقال أقطعني ثم أجبني فقال له أعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله (ﷺ) بحضرة رجال وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت ولم ينكروا منه ما أنكرت ثم قال: له إن العرب قد تدخل لا في أثناء

(١) تفسير السراج المنير ــ محمد بن أحمد الشربيني ص٣٩٢ ج٤. دار النشر / دار الكتب العلمية ــ بيروت. ولم أعثر على قائل البيت.

(٢) تفسير القرطبى ص٥٩ ج٢٠. وينظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج ص٣٢٧ج٥ عالم الكتب – بيروت ط الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

كلامها وتلغى معناها([1]) إذن فنفى القسم لا محل له هنا، بل إجماع المفسرين على أن ذلك قسم فى كل ما ورد بهذه الصيغة فى القرآن كما حكاه السمرقندى فى تفسيره.

أقول كون: "لا" زائدة قول بعيد لإن فائدة الإتيان بالألفاظ هو إفادة المعانى وخاصة فى كتاب مشهود له بالفصاحة والتحدى فلا بد لها من معنى دفعا لورود زيادة لا معنى لها وعليه فهى لام ابتداء أشبعت فتحتها ويشهد لذلك قراءة سبعية قال ابن مجاهد" قرأت على قنبل عن ابن كثير لأقسم بيوم القيمة بغير ألف بين اللام والقاف([2]).

قوله تعالى: "**أقسم**" القسم: بفتح القاف والسين من القَسَامة، وهو الحَلِفُ واليمين، جمعه أقسام "والقَسَمُ بالتحريك اليمين وكذلك المُقْسَمُ وهو المصدر مثل المُخْرَج والجمع أَقْسام وقد أَقْسَم بالله واسْتَقْسَمه به وقاسَمَه حلَف له وتَقاسمَ القومُ تحالفوا. والمُقْسَمُ القَسَمُ والمُقْسَمُ المَوْضِع الذي حلف فيه والمُقْسِم الرجل الحالف([3]).

القسم اصطلاحا: رَبْطُ الْعَقْدِ بِالِامْتِنَاعِ وَالتَّرْكِ أَوْ بِالْإِقْدَامِ عَلَى فِعْلٍ بِمَعْنَى مُعَظَّمٍ حَقِيقَةً أَوْ اعْتِقَادً([4]).

وقد استخدمت مفردة القسم في القرآن مقرونة بشهادة صدق لإثبات حق، ومقرونة بالإخبار عن شهادة كذب.

---

(١) الإتقان للسيوطى ص٩٩ ج٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٦٦١ – ط دار المعارف القاهرة ط الثانية ١٤٠٠هـ.

(٣) لسان العرب لابن منظور ص٤٧٨ ج١٢ دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

(٤) أحكام القرآن لابن العربى المالكى ص٢١٦ ج٣. دار الكتب العلمية.

ففي جانب الصدق قوله تعالى: "**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِين**" المائدة: ١٠٧.

وفى حال الكاذبين "**وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً**" فاطر: ٤٢.

وقد وردت مادة القسم في القرآن خمسة وعشرين مرة. والقسم يستعمل في الدلالة على الأيمان الصادقة حقيقة أو توهما كما فى حق الكافرين "**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا**" فاطر: ٤٢.

وأما الحلف فقد ورد ثلاثة عشر مرة كلها فى الحنث باليمين وغالبها صادر ومنسوب للمنافقين إلا مرة واحدة فى جانب المؤمنين فيمن حنث بيمينه فوجبت عليه الكفارة "**ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ**" المائدة: ٨٩.

قوله تعالى: "**بِهَذَا البلد**" أصل البلد المكان عامرا كان أو غير عامر وقد ورد ذكر البلد في القرآن تسعة عشر مرة ورد في حق مكة ستة مواضع.

والمراد بالبلد هنا مكة المكرمة "عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: "**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ**" يعني مكة(١).

ولم يذكر القرآن هنا وصف البلد بصفة "**وهذا البلد الأمي** " رعاية لسياق الحديث عن المكابدة والمتاعب وما كان عليه الرسول (ﷺ) من شدة وعناء لمواجهة قومه له بالأذى.

(١) تفسير ابن كثير ص٤٠٢ ج٨ دار طيبة للنشر والتوزيع ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

قوله تعالى: "**وأنت حل بهذا البلد**"

الحل تدور معانيه في اللغة بين النزول في المكان والإقامة به، وبين نزول الدواهى وحلول المصائب ومنه قوله تعالى: "**وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**" إبراهيم ٢٨، وبين إباحة الشئ بعد تحريمه ومنه قوله تعالى: "**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَناتِ عَمِّكَ وَبَناتِ عَمَّاتِكَ**" الأحزاب ٥٠، والفك بعد العقد "**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي**" طه: ٢٧(١).

قال الماوردي: "وأنتَ حلٌّ بهذا البَلَدِ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتال أو غيره، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنت مُحِل في هذا البلد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح، قاله الحسن وعطاء.

الثالث: أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين. **ويحتمل رابعاً:** وأنت حالٌّ أي نازل في هذا البلد.(٢) وهى جملة اعتراضية بين أجزاء المقسم به تسلية لرسول الله (ﷺ).

وقد جاء التعبير بـ" حل" دون حال لدلالة "حل" على أكثر من معنى فإنه يستعمل كم مر بمعنى اسم المفعول مستحل ويوجه المعنى على ذلك فيكون وأنت مستحلٌ حرمتك وقتلك لا تراعى في بلد آمن يأمن فيه الطير والوحش. وعلى هذا المعنى فلا تكون "لا" نافية فيكون معناها إثبات القسم.

---

(١) يراجع المفردات للراغب الأصفهانى، ولسان العرب.

(٢) النكت والعيون للماوردى ص٢٧٤ج٦. دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

ويأتى "حل" بمعنى حلال أى حلال لك أن تقتل وتأسر من تشاء وقد دل النص النبوى على حل ذلك

"**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ﷺ)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ:** «لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ(١).

فتكون "لا" على هذا التوجيه نافية وهذا ما يعرف بالتوسع فى المعنى وهو التعبير بأخصر قول وأقل عبارة عن معان متعددة وجامعه على وجه الصحة.(٢).

وفى سياق هذا المعنى بشارة بفتح مكة وتمكن الرسول الأعظم فيها على اعتبار مكية السورة.

"وَتَكْرِيرُ لَفْظِ بِهذَا الْبَلَدِ إِظْهَارٌ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِقَصْدِ تَجْدِيدِ التَّعْجِيبِ. وَلِقَصْدِ تَأْكِيدِ فَتْحِ ذَلِكَ الْبَلَدِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِ وَالشَّدِيدِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ حَوْزَتِهِمْ(٣).

قوله تعالى: "**وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**"

مادة ولد تفيد معنى الإتيان والتخلق من أصل يصير المولود له فرعا قال ابن فارس:

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب جزاء الصيد بَابٌ: لاَ يَحِلُّ القِتَالُ بِمَكَّةَ ص١٤ ج٣ الناشر: دار طوق النجاة ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) ينظر الخصائص لابن جنى وكتاب الجملة العربية والمعنى د. صالح السامرائى.

(٣) التحرير والتنوير – الطاهر ابن عاشور ص٣٤٩ج٣٠.

"**ولد الواو واللام والدال:** أصلٌ صحيح، وهو دليل النَّجْل والنسْل، وهو للواحد والجميع، ويقال للواحد وُلْدٌ أيضاً. والوَليدةُ الأنثى، والجمع ولائد. وتَولَّدَ الشّيءُ عن الشّيء: حَصَل عنه.(١).

"**وتَوالَدُوا:** كَثُرُوا ووَلَد بعضهم بعضاً. وتولُّدُ الشيء من الشيء: حُصوله منه بسبب من الأَسباب. والوالِدُ: الأَبُ، وهى والدةٌ وهُما الوالِدان(٢).

وقد تعددت الأقوال فى بيان المراد بالوالد والولد:

فقيل المراد إبراهيم (عليه السلام) وما ولد، أي أولاده ويترتب على هذا القول أن يكون المعنى تعريضا وتوبيخا للمشركين من ذرية إبراهيم وولده اسماعيل لضلالهم وكفرهم بملة إبراهيم.

وقيل آدم وولده **وهو منسوب لقتادة والضحاك (رضي الله عنهما).** وقيل الوالد الذى يلد والولد العاقر الذى لا يلد وهو منسوب لابن عباس.

وقد اختار الطبرى (رحمه الله) العموم فقال: "والصواب من القول في ذلك: ما قاله الذين قالوا: إن الله أقسم بكلّ والد وولده، لأن الله عم كلّ والد وما ولد. وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومه كما عمه.(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا– ص١٤٣ج٦– الناشر: دار الفكر– الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز– مجد الدين محمد الفيروزآبادى – ص٢٧٨ج٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن– محمد بن جرير الطبرى – ص٤٣٣ ج٢٢ ت: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة ط : الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

وجاء التعبير بـ"والد" منكراً لإفادة التعظيم لصفة الوالدية. وعبر بـ"ما" دون "من" للإبهام الشديد تعجيبا.

قال الطاهر (رحمه الله): " وَجِيءَ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ "مَا" فِي قَوْلِه: "وَما وَلَدَ" دُونَ (مَنْ) مَعَ أَنَّ (مَنْ) أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا فِي إِرَادَةِ الْعَاقِلِ وَهُوَ مُرَادٌ هُنَا، فَعَدَلَ عَنْ (مَنْ) لِأَنَّ "مَا" أَشَدُّ إِبْهَامًا، فَأُرِيدَ تَفْخِيمُ أَصْحَابِ هَذِهِ الصِّلَةِ فَجِيءَ لَهُمْ بِالْمَوْصُولِ الشَّدِيدِ الْإِبْهَامِ لِإِرَادَةِ التَّفْخِيمِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**" آل عمران: ٣٦.

يَعْنِي مَوْلُودًا عَجِيبَ الشَّأْنِ. وَيُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ "مَا" تُسْتَعْمَلُ نَكِرَةً تَامَّةً بِاتِّفَاقٍ، وَ (مَنْ) لَا تُسْتَعْمَلُ نَكِرَةً تَامَّةً إِلَّا عِنْدَ الْفَارِسِيِّ. وَلِأَنَّ قُوَّةَ الْإِبْهَامِ فِي "مَا" أَنْسَبُ بِإِرَادَةِ الْجَمَاعَةِ دُونَ وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ(١).

المعنى العام للآيات

استهلت السورة الكريمة بالقسم وهو وسيلة من وسائل إقامة الحجج وإثبات الحقوق. والنفوس البشرية فى قبول الحق مذاهب شتى ودرجات متفاوته.

فمن النفوس سهل لين هين، خلت نفسه من شوائب الباطل وحمئة الجهالة، واستقامت فطرته، فتسرى الآيات البينات من الحق قرآنا مسطورا وكتابا منظورا فى نفسه وقلبه قبولا وإذعانا يهديه ويكفيه، فلا يحتاج معه إلى قسم ولا تأكيد. ومن النفوس نفوس مردت على اللدد، وكساها ظلام الجهل سرابيل بعضها فوق بعض، فحاجتها إلى شموس الهدى لتبدد ما بها من ظلمة ضرورة. والقسم شمس من شموس التأكيد وقارع من قوارع الحكمة والإفحام وإثبات الحجة. وقد أقسم الله بمكة وسط الأرض وبالوالد وما ولد، لينبه بالقسم على

(١) التحرير والتنوير ص٣٥٠ج٣٠. ويراجع عراب القرآن وبيانه – محي الدين الدرويش – دار النشر : دار الإرشاد ــ سورية.

عظيم فضل مكة لما خصت به وفضلت على غيرها وأنها أمان لوجود البيت الحرام فيها وأمان زائد بمقام رسول الله فيها، وسنة الوالدية من أسس الخلق وسننه، متسع رحب وفضاء واسع للتدبر والتفكر فى أسرار الخلق وما يقوده التجرد الحر بعد الفكر والتدبر من الإيمان بالله وهو غاية من غايات القسم.

مسائل

١- المقسم به فى القرآن متعدد (أ) بذاته تعالى (ب) بخلقه وعلى الرأس منهم رسولنا الأكرم.

إذ أقسم الله بذاته خمس مرات قال تعالى: "**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**" مريم: ٦٨، وقال تعالى: "**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**" الحجر: ٩٢، وقال تعالى: "**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**" النساء: ٦٥، وقال تعالى: "**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**" المعارج: ٤٠، وقال تعالى: "**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**" الذاريات: ٢٣.

وأمر الله رسوله الكريم أن يقسم بربه فى ثلاثة مواضع قال تعالى: "**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**" يونس: ٥٣، وقال تعالى: "**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ**" سبأ: ٣، وقال تعالى: "**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**" التغابن: ٧. والقسم منه (ﷻ) بربه تعالى تعظيم لربه على تعظيم يتأسى به المسلمون، فلا يعظمن أحد أحداً بالقسم به فلا قسم إلا به تعالي.

وأقسم الله بحياة رسوله محمد (ﷺ).

"**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**" الحجر: ٧٢.

وأقسم بالعديد من مخلوقاته فى مواطن متفرقة على سبيل الذكر لا الحصر

"**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا**" الصافات: ١-٢ "**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا**" العاديات:١-٣.

قال السيوطى (رحمه الله): "الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع. وقال ابن أبي الإصبع في أسرار الفواتح(١) القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال إن الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله(٢) "وعن ابن عباس: قال: يقسم ربك بما شاء من خلقه.(٣) وقال ابن كثير "قال الشعبي وغيره: الخالق يُقسِم بما شاء من خَلْقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق(٤).

٢- أقسم الله بالبلد الحرام مكة المكرمة تنبيها على عظيم شأنها لما أودع الله فيها من أسباب الشرف يأتى على رأس هذه الأسباب البيت الحرام بيت الله العتيق الذى جعله الله أمنا للناس ومباركا و جعله أول بيت وضع للناس وأودع فيه الآيات البينات ثم يقفو هذا الشرف شرف وجود الرسول الأكرم فى مكة فهو أمان لمن فيها من العذاب قال تعالى: "**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**" الأنفال: ٣٣.

(١) الخواطر السوانح في اسرار الفواتح لابن أبى الأصبع المصرى المتوفى ٦٥٤هـ وهو مطبوع بمصر وحققه د. حنفى محمد شرف.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ص٣٥١ج٢.

(٣) تفسير الطبري ص٤٨ج٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير ص٤٢٢ج٧.

والقسم كذلك بكل والد وما ولد من البشر على أن ذلك لا ينفى دخول سائر المخلوقات التى تلد لإندراجها تحت وصف التوالد، وهو تنبيه بعظم القسم واستنفار لتدبر أسراره ومعرفة خوافيه

فهو قسم بأصل المكان فمكة أم القرى ومرجع البلاد إليها. وأصل الإنسان آدم، وكل البشر لأبيهم آدم وفى الآية الكريمة ما يوضح ذلك: "**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**" النساء: ١ وفى الحديث "أنتم بنو آدَمَ، وآدمُ من تُرابٍ"(١).

والقسم بمكة هنا وفى سورة التين ووصفها بالبلد الأمين استنفار للكشف عن خصائص هذا البلد وما فيه من أسرار ينطوي عليها لا تكون فى غيره من الأمن النفسى والفكرى والأمن الجسدى فلا يعتدى على صيد فى الحرم فضلا عن الإنسان.

ولم يحل قتل أحد فى مكة منذ فتحها الرسول الأعظم إلا ما كان خاصا برسول الله يوم الفتح ساعة من نهار كما فى الحديث فقد أهدر دماء بعض المشركين لما كان منهم من خطرعظيم وما أسلفوا من الأذى ضد رسول الله والمسلمين وليس لغير رسول الله استحلال ذلك قال (ﷺ): "إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ (ﷺ)، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه باب التفاخر بالأحساب – ص٤٣٨ج٧ – قال الأرنؤوط هذا إسناد حسن – دار الرسالة العالمية، ط الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب جزاء الصيد بَابٌ: لاَ يُعْضَدُ شَجَرُ الحَرَمِ ص١٤ج٣. ومسلم فى صحيحه كتاب الحج بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلاَهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا، إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ ص٩٨٧ج٢. دار إحياء التراث العربي – بيروت. ومعنى=

ومن أحل دمهم فى مكة هم كم ذكر الحافظ ابن حجر فى الفتح "وَقَدْ جَمَعْتُ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ مُفَرَّقَاتِ الْأَخْبَارِ وَهُمْ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ خَطَلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَالْحُوَيْرِثُ بْنُ نُقَيْذٍ بِنُونٍ وَقَافٍ مُصَغَّرٌ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ بِمُهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ وَمُوَحَّدَتَيْنِ الْأُولَى خَفِيفَةٌ وَهَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَقَيْنَتَانِ كَانَتَا لِابْنِ خَطَلٍ كَانَتَا تُغَنِّيَانِ بِهَجْوِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَسَارَةُ مَوْلَاةُ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَهِيَ الَّتِي وُجِدَ مَعَهَا كِتَابُ حَاطِبٍ فاما بن أَبِي سَرْحٍ فَكَانَ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ عُثْمَانُ يَوْمَ الْفَتْحِ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَحَقَنَ دَمَهُ وَقَبِلَ إِسْلَامَهُ وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَفَرَّ إِلَى الْيَمَنِ فَتَبِعَتْهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَرَجَعَ مَعَهَا بِأَمَانٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَأَمَّا الْحُوَيْرِثُ فَكَانَ شَدِيدَ الْأَذَى لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) بِمَكَّةَ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ يَوْمَ الْفَتْحِ وَأَمَّا مَقِيسٌ بْنُ صُبَابَةَ فَكَانَ أَسْلَمَ ثُمَّ عَدَا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ الْأَنْصَارِيُّ قَتَلَ أَخَاهُ هِشَامًا خَطَأً فَجَاءَ مَقِيسٌ فَأَخَذَ الدِّيَةَ ثُمَّ قَتَلَ الْأَنْصَارِيَّ ثُمَّ ارْتَدَّ فَقَتَلَهُ نُمَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَأَمَّا هَبَّارٌ فَكَانَ شَدِيدَ الْأَذَى لِلْمُسْلِمِينَ وَعَرَضَ لِزَيْنَبَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لَمَّا هَاجَرَتْ فَنَخَسَ بَعِيرَهَا فَأُسْقِطَتْ وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الْمَرَضُ بِهَا حَتَّى مَاتَتْ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ بَعْدَ أَنْ أَهْدَرَ النَّبِيُّ (ﷺ) دَمَهُ أَعْلَنَ بِالْإِسْلَامِ فَقَبِلَ مِنْهُ فَعَفَا عَنْهُ وَأَمَّا الْقَيْنَتَانِ فَاسْمُهُمَا فَرْتَنَى وَقَرِينَةُ فَاسْتُؤْمِنَ لِإِحْدَاهُمَا فَأَسْلَمَتْ وَقُتِلَتِ الْأُخْرَى وَأَمَّا سَارَةُ فَأَسْلَمَتْ وَعَاشَتْ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ وَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ بَلْ قُتِلَتْ وَذَكَرَ أَبُو مَعْشَرٍ فِيمَنْ أَهْدَرَ دَمَهُ الْحَارِثَ بْنَ طَلَاطِلَ الْخُزَاعِيَّ قَتَلَهُ عَلِيٌّ(١).

="لا يعضد" لا يقطع. إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم – القاضى عياض – ص٤٧٠ج٤ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(١) فتح البارى لابن حجر ص١١ج٨ ط دار المعرفة – بيروت– ١٣٧٩هـ.

٣- على القول بأن المراد من قوله تعالى: "**وأنت حل بهذا البلد**" حل لك ماصنعت بمكة يوم الفتح بيان لمنزلة رسول الله (ﷺ) عند ربه واختصاصه بخصائص دون غيره ومنها فى القرآن الكثير وهذه واحدة من مزاياه المنثورة فى القرآن (ﷺ)

وأشير إجمالا إلى بعض من هذه المزايا:

- أن الله تعالى أقسم بحياته فقال تعالى: "**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**" الحجر: ٧٢.

قال الحافظ ابن كثير: "عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد (ﷺ)، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: "**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**" **يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا**"(١).

- جعل الله تعالى طاعة رسول الله واجبة تستوجب الرحمة فقال تعالى: "**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**" آل عمران: ١٣٢.

"**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**" النور: ٥٦.

- طاعة الرسول من طاعته تعالى: "**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**" النساء: ٨٠.

- وجوب رد الأمر عند الإختلاف إلى الله ورسوله "**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**" النساء: ٥٩.

- أخذ الميثاق على النبيين بالإيمان به ونصرته قال تعالى: "**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ**

(١) تفسير ابن كثير ص٥٤٢ج٤.

بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" آل عمران: ٨١.

- عموم رسالته "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**" سبأ: ٢٨.

٤- قسمه تعالي بالوالد وما ولد إشارة إلى آدم وذريته تنبيه علي عظيم الحق لهذه الصفة التى هى آية من آياته ومنحة من عطاياه، صفة الوالدية التى اكتسبت حقا فى الإحسان والمعروف بعد عبادة الله تعالى مباشرة قال تعالى: "**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**" الإسراء: ٢٣.

وقال تعالى: "**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**" الأنعام: ١٥١.

وقال تعالى "**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**" لقمان: ١٥.

وفى الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ(١).

وقد استحق الوالدان هذه المنزلة لما يلى:

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ص١٩٧٨ج٤. أصل الرغم بفتح الراء وضمها الذل من الرغام بالفتح أيضاً - وهو التراب - يقال: أرغم الله أنفه أذلّه، كأنه يلصقه بالتراب من الذل. إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضى عياض ص٣٦٥ج١- دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر - الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١- عطاء الرب تعالى لهما من فيض القدرة التى جعلتهما سببا فى الوجود والتخليق منهما فهما الظاهرة المشاهدة لتجلى قدرة الخالق وإبداعه فى الخلق والإيجاد.

٢- التربية والقيام على شأن الولد فى حال عجزه التام عن القيام بما يصلحه من أمور معاشه وهذا التدبير لأمر المعاش والحياة فيض من التدبير الأعلى الذى يقوم به ربنا تعالى: "**يُدَبِّرُ الأَمْرَ**" السجدة: ٥.

وقد نصت الآية الكريمة صراحة على هذا المعنى: "**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**" الإسراء: ٢٤.

وفى القسم بالوالد وولده آيات ومعان كثيرة تحتاج إلى الدراسة والفهم والتطبيق المطاوع للدين بعيدا عن ظلم أى طرف من الطرفين للآخر سواء من الوالد لولده استغلالا لسلطة الوالدية، أو من الولد تجاه والديه استغلالا لطبيعة الميل الفطرى.

واسجل هنا كلمة رقيقة دقيقة للإمام محمد عبده (رحمه الله) إذ يقول: "هَاهُنَا مَسْأَلَةً مُهِمَّةً، قَلَّمَا تَجِدُ أَحَدًا مِنْ عُلَمَائِنَا بَيَّنَهَا كَمَا يَنْبَغِي، وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الْوَالِدَيْنِ يَتَعَذَّرُ إِرْضَاؤُهُمَا بِمَا يَسْتَطِيعُهُ أَوْلَادُهُمَا مِنَ الْإِحْسَانِ، بَلْ يُكَلِّفُونَ الْأَوْلَادَ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَمَا أَعْجَبَ حِكْمَةَ اللهِ فِي خَلْقِ هَذَا الْإِنْسَانِ، قَلَّمَا تَجِدُ ذَا سُلْطَةٍ لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ فِي سُلْطَتِهِ حَتَّى الْوَالِدَيْنِ عَلَى أَوْلَادِهِمَا، وَهُمَا اللَّذَانِ آتَاهُمُ الْفَاطِرُ مِنَ الرَّحْمَةِ الْفِطْرِيَّةِ مَا لَمْ يُؤْتِ سِوَاهُمَا، قَدْ تَظْلِمُ الْأُمُّ وَلَدَهَا قَلِيلًا مَغْلُوبَةً لِبَادِرَةِ الْغَضَبِ، أَوْ طَاعَةً لِمَا يَعْرِضُ مِنْ أَسْبَابِ الْهَوَى، كَأَنْ تَتَزَوَّجَ رَجُلًا تُحِبُّهُ وَهُوَ يَكْرَهُ وَلَدَهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَكَأَنْ يَقَعَ التَّغَايُرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ امْرَأَةِ وَلَدِهَا، وَتَرَاهُ شَدِيدَ الْحُبِّ لِامْرَأَتِهِ يَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يُغْضِبَهَا لِأَجْلِ مَرْضَاتِهَا هِيَ، فَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ قَلَّمَا تَرْضَى الْأُمُّ بِالْعَدْلِ وَتَعْذُرُ وَلَدَهَا فِي خُضُوعِهِ لِسُلْطَانِ الْحُبِّ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يُقَصِّرْ فِيمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَلْ تَأْخُذُهَا عِزَّةُ الْوَالِدِيَّةِ، حَتَّى تَسْتَلَّ

مِنْ صَدْرِهَا حَنَانَ الْأُمُومَةِ، وَيَطْغَى فِي نَفْسِهَا سُلْطَانُ اسْتِعْلَائِهَا عَلَى وَلَدِهَا، وَلَا يُرْضِيهَا إِلَّا أَنْ يَهْبِطَ مِنْ جَنَّةِ سَعَادَةِ الزَّوْجِيَّةِ لِأَجْلِهَا، وَرُبَّمَا تَلْتَمِسُ لَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ زَوْجًا أُخْرَى يَنْفِرُ مِنْهَا طَبْعُهُ، وَمَا حِيلَتُهُ وَقَدْ سُلِبَ مِنْهُ قَلْبُهُ كَمَا أَنَّهَا تَظْلِمُهُ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ بِمِثْلِ هَذَا الِاخْتِيَارِ، وَظُلْمُ الْآبَاءِ فِيهِ أَشَدُّ مِنْ ظُلْمِ الْأُمَّهَاتِ، وَلَا تَجِبُ طَاعَةُ الْوَالِدَيْنِ فِي مِثْلِ هَذَا، وَيَا وَيْحَ الْوَلَدِ الَّذِي يُصَابُ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَا جَاهِلَيْنِ بَلِيدَيْنِ يَتَعَذَّرُ إِقْنَاعُهُمَا.

وَلَعَلَّكَ إِذَا دَقَّقْتَ النَّظَرَ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ لَا تَجِدُ فِيهَا أَغْرَبَ مِنْ تَحَكُّمِ الْوَالِدَيْنِ فِي تَزْوِيجِ الْأَوْلَادِ بِمَنْ يَكْرَهُونَ، أَوْ إِكْرَاهِهِمْ عَلَى تَطْلِيقِ مَنْ يُحِبُّونَ. وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِلْوَلَدِ إِذَا كَانَ وَالِدُهُ الْجَهُولُ الظَّلُومُ غَنِيًّا، وَكَانَ هُوَ مُعْوِزًا فَقِيرًا، فَإِنَّ وَالِدَهُ يَدِلُّ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ بِسُلْطَتَيْنِ، وَيُحَارِبُهُ بِسِلَاحَيْنِ. وَمِنْ ضُرُوبِ ظُلْمِ الْوَالِدَيْنِ الْجَاهِلَيْنِ لِلْوَلَدِ الْعَاقِلِ الرَّشِيدِ: مَنْعُهُ مِنَ اسْتِعْمَالِ مَوَاهِبِهِ فِي تَرْقِيَةِ نَفْسِهِ فِي الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا تَوَقَّفَ ذَلِكَ عَلَى السَّفَرِ وَالتَّرْحَالِ. يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ الْإِحْسَانَ بِالْوَالِدَيْنِ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ فِي دِينِ الْفِطْرَةِ هُوَ أَنْ نَكُونَ فِي غَايَةِ الْأَدَبِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بِحَسَبِ الْعُرْفِ حَتَّى يَكُونَا مَغْبُوطَيْنِ بِنَا، وَأَنْ نَكْفِيَهُمَا أَمْرَ مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْرُوعَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِنَا، وَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ سَلْبِ حُرِّيَّتِنَا وَاسْتِقْلَالِنَا فِي شُئُونِنَا الشَّخْصِيَّةِ وَالْمَنْزِلِيَّةِ، وَلَا فِي أَعْمَالِنَا لِأَنْفُسِنَا وَلِمِلَّتِنَا وَلِدَوْلَتِنَا، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا الِاسْتِبْدَادَ فِي تَصَرُّفِنَا فَلَيْسَ مِنَ الْبِرِّ وَلَا مِنَ الْإِحْسَانِ شَرْعًا أَنْ نَتْرُكَ مَا نَرَى فِيهِ الْخَيْرَ الْعَامَّ أَوِ الْخَاصَّ، أَوْ نَعْمَلَ مَا نَرَى فِيهِ الضُّرَّ الْعَامَّ أَوِ الْخَاصَّ، عَمَلًا بِرَأْيِهِمَا وَاتِّبَاعًا لِهَوَاهُمَا(١).

(١) تفسير المنار ص٧٠-٧٣ج٥.

والجامع بين أفراد القسم ومابينها أعنى "البلد – حلول رسول الله بها – الوالد".

هو صفة الرحمة واستصحاب الأمان فقد جعل الله البلد بما فيه من البيت أمنا للناس كما دلت الآيات على ذلك "**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**" البقرة: ١٢٥.

وجعل الرسول الكريم رحمة للمؤمنين وللعالمين: "**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمؤمنين رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**" التوبة: ١٢٨.

"**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**" الأنبياء: ١٠٧.

وجعل الإحسان والبر بالوالدين سبيل الرحمة فى الدنيا والآخرة للمؤمنين.

الموضوع الثانى

المقسم عليه: الإنسان من المولد إلى الوفاة بين آلام الحياة وآمالها

قال تعالى: "**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**" البلد: ٤

المباحث العربية:

قوله تعالى: "**لَقَدْ خَلَقْنَا**"

قد حرف مختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ماضيا كان أو مضارعا ولها معان:

الأول: التحقيق مع الماضي، نحو: {**قد أفلح المؤمنون**}، {**قد أفلح من زكاها**} وهي واللام في الجملة الفعلية المجاب بها القسم مثل إن واللام في الاسمية المجاب بها في إفادة التوكيد.

والثاني: التقريب مع الماضي أيضا تقربه من الحال، تقول: قام زيد فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد فإن قلت: قد قام اختص بالقريب المعنى

الثالث: التقليل مع المضارع، قال في المغني: وهو ضربان تقليل وقوع الفعل، نحو: "قد يصدق الكذوب" وتقليل متعلقه، نحو: {**قد يعلم ما أنتم عليه**} أي أن ما هم عليه هو أقل معلوماته تعالى قال: وزعم بعضهم أنها في هذه الآية ونحوها للتحقيق انتهى.

وممن قال بذلك الزمخشري، قال: إنها أدخلت لتوكيد العلم ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد.

الرابع: التكثير ذكره سيبويه وغيره وخرج عليه الزمخشري قوله: {**قد نرى تقلب وجهك في السماء**} قال: أي ربما نرى ومعناه تكثير الرؤية.

الخامس: التوقع، نحو: قد يقدم الغائب، لمن يتوقع قدومه وينتظره، وقد قامت الصلاة، لأن الجماعة منتظرون ذلك، وحمل عليه بعضهم: {قد سمع الله قول التي تجادلك} لأنها كانت تتوقع إجابة الله لدعائها.(١)

ومفاد هذا النقل استعمال قد هنا للتحقيق.

هذا هو جواب القسم "**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**" وقد أريد بالقسم تأكيده وتحقيق وقوعه وحصوله.

ولذا جاء مصدرا باللام المؤكدة وقد التى تفيد التحقيق. وأتى بضمير المتكلم المفيد للجمع للتعظيم.

"**الخَلْقُ فى كَلام العَرَبِ على وَجْهَيْنِ:** الإنشاءُ على مِثالٍ أَبْدَعَه، والآخَرُ: التَّقْدِيرُ. وكُل شَيْءٍ خَلَقه اللَّهُ فهو مُبْتَدِئُه عَلَى غيرِ مِثالٍ سُبِقَ إِليه. وأَصْلُ الخَلْقِ: التَّقْدِير، فهُوَ باعْتِبار ما مِنْهُ وجودُها مُقَدِّرٌ، وبالاعْتِبارِ للإِيجادِ على وَفْقِ التقْدِيرِ خالِقٌ(٢).

قوله تعالى: "**الْإِنْسَانَ**"

"**اشتقاق الإنسان من الإيناس:** وهو الإبصار والعلم والإحساس لوقوفه على الأَشياءِ بطريق العلم، ووصوله إليها بواسطة الرُّؤية، وإدراكه لها بوسيلة الحواسّ. وقيل: اشتقاقه من النَوْس بمعنى التَّحرك؛ سمّى لتحرّكه فى الأُمور العظام، وتصرُّفه فى الأَحوال المختلفة، وأَنواع المصالح.

وقد ورد لفظ الإنسان فى نصّ القرآن على عشرين وجْهاً:

الأَوّل: بمعنى آدم (عليه السلام): {**هَلْ أتى عَلَى الإنسان**} يعنى آدم. وكذا.

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ص٢٥٢ج٢.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس – محمّد بن محمّد الزَّبيدي ص٢٥١ج٢٥ – الناشر دار الهداية. ويراجع بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ص٥٦٦ج٢.

{خَلَقْنَا الإنسان}، {خَلَقَ الإنسان عَلَّمَهُ البيان} وله نظائر.

الثانى: بمعنى بنى آدم: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}.(١).

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ص٣٣ج٢ وتتمة الوجوه الباقية "الثالث بمعنى وليد بن المغيرة: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} {وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضر دَعَانَا}.

الرّابع بمعنى قُرْط بن عبد الله: {إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}.

الخامس أَبو جهل: {كَلاَّ إِنَّ الإنسان ليطغى}.

السّادس النَّضْر بن الحارث: {وَيَدْعُ الإنسان بالشر دُعَآءَهُ بالخير}.

السّابع بَرْصِيصاء العابد: {كَمَثَلِ الشيطان إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكفر}

الثامن بُدَيل بن وَرْقاءَ: {إِنَّ الإنسان لَكَفُورٌ}. التَّاسع الأَخنس بن شَرِيق: {إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً}.

العاشر أُبىّ بن خَلَف الجمحىّ: {ياأيها الإنسان مَا غَرَّكَ}.

الحادى عشر كَلَدة بن أَسيد: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ}.

الثانى عشر عُقْبَة بن أَبى مُعَيْط: {وَكَانَ الشيطان لِلإِنْسَانِ خَذُولاً}.

الثالث عشر أَبو طالب: {فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ}. الرّابع عشر عَدىّ بن ربيعة: {أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ}.

الخامس عشر عُتْبَة بن أَبى لهب: {قُتِلَ الإنسان مَآ أَكْفَرَهُ}. {فَلْيَنظُرِ الإنسان إلى طَعَامِهِ}.

السّادس عشر سَعْد بن أَبى وَقَّاص: {وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حُسْناً}.

السّابع عشر عبد الرّحمن بن أَبى بكر الصّديق فى سورة الأَحقاف: {وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ}. الثامن عشر عيّاش بن أَبى ربيعة: {وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ}.

التاسع عشر أُمَيّة بن خَلَف: {أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ}. {أَوَلاَ يَذْكُرُ الإنسان}، {يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسان}.

العشرون: النبىّ (ﷺ): {ياأيها الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ}. أَى فى دعوة الخَلْق إِلى الحقّ. ويراجع لسان العرب لابن منظور ص١٠ج٦.

هذا النقل عن صاحب البصائر الذى ذكر فيه أصل اشتقاق الإنسان. وذكر عشرين وجها ثمانية عشر وجها منها:

مرادا بها أفرادا بعينهم ليس هنا مجال تحقيقه.

قوله تعالى: "**فِي كَبَدٍ**"

قال ابن فارس: "(كبد) الكاف والباء والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على شدّة في شيء وقُوّة. من ذلك الكَبَد، وهي المشقّة. يقال: لَقِيَ فلانٌ من هذا الأمر كَبَداً، أي مشَقة. قال تعالى: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ في كَبَدٍ}** البلد: ٤ وكابدتُ الأمر: قاسيتُه في مشقّة. ومن الباب الكَبِد، وهي معروفة، سمِّيت كَبِداً لتكبُّدِها. والكُبَادُ: وجَعُ الكَبِد. وتَكَبَّدَ اللَّبنُ: غَلُظَ وخَثُر.(١)

والتعبير بـ"فى" يدل على إحاطة الكبد بالإنسان إحاطة الظرف بالمظروف.

واختلف المفسرون فى المراد بـ"الكبد"

فقيل: الشدة والعناء والنصب وبه قال ابن عباس والحسن.

وقيل:المراد بالكبد اعتدال القامة وانتصابها، وهو منسوب لابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك(٢).

وقد اعترض الطاهر بن عاشور على أقوال المفسرين بهذا التفسير فقال: "وَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَقْرِيرِ الْمُرَادِ بِالْكَبَدِ، وَلَمْ يُعَرِّجْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى رَبْطِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ مَا يُفَسِّرُ بِهِ الْكَبَدَ وَبَيْنَ السِّيَاقِ الْمَسُوقِ لَهُ الْكَلَامُ وَافْتِتَاحِهِ بِالْقَسَمِ الْمُشْعِرِ بِالتَّأْكِيدِ وَتَوَقُّعِ الْإِنْكَارِ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ بِصَدَدِ تَفْسِيرِ كَلِمَةٍ مُفْرَدَةٍ لَيْسَتْ وَاقِعَةً فِي كَلَامٍ يَجِبُ التئامه، ويحق وئامه.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص١٥٣ج٥.

(٢) ينظر تفسير الطبري ص٤٣٣ج٢٤.

وَقَدْ غَضُّوا النَّظَرَ عَنْ مَوْقِعِ فِعْلِ خَلَقْنَا عَلَى تَفْسِيرِهِمُ الْكَبَدَ إِذْ يَكُونُ فِعْلُ خَلَقْنَا كَمَعْذِرَةٍ لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرِ فِي مُلَازَمَةِ الْكَبَدِ لَهُ إِذْ هُوَ مَخْلُوقٌ فِيهِ. وَذَلِكَ يَحُطُّ مِنْ شِدَّةِ التَّوْبِيخِ وَالذَّمِّ، فَالَّذِي يَلْتَئِمُ مَعَ السِّيَاقِ وَيُنَاسِبُ الْقَسَمَ أَنَّ الْكَبَدَ التَّعَبُ الَّذِي يُلَازِمُ أَصْحَابَ الشِّرْكِ مِنِ اعْتِقَادِهِمْ تَعَدُّدَ الْآلِهَةِ. وَاضْطِرَابُ رَأْيِهِمْ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ ادِّعَاءِ الشُّرَكَاءِ لِلَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ تَوَجُّهِهِمْ إِلَى اللَّهِ بِطَلَبِ الرِّزْقِ وَبِطَلَبِ النَّجَاةِ إِذَا أَصَابَهُمْ ضُرٌّ. وَمِنْ إِحَالَتِهِمُ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ فَقَوْلُهُ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ دَلِيل مَقْصُودًا وَحْدَهُ(١).

والحق أن لا تعارض بين هذه الأقوال جميعها فالإنسان خلق فى اعتدال قامة وأحسن تقويم منتصبا لا يزحف على بطنه ولا يمشى على أربع ولا يطير بجناح وهو فى أطوار حياته يعانى مشقاتها وشدائدها. فالتعب الملازم للكافر من ظلمات كفره وضلاله لا ينافى أن المؤمن لا يعانى ولا يتعب ولا يواجه الشدائد وقد قال تعالى: "**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**" الأنبياء: ٣٥. وحياة الأنبياء فيما قصه القرآن خير شاهد لهذا وفى الحديث "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ(٢).

وفى حديث آخر" عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ.(٣)

(١) التحرير والتنوير ص٣٥١ج٣٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق ص٢٢٧٢ج٤.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الزهد – بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلاَءِ ص١٧٩ج٤. وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. والنسائى فى الكبرى، ص٤٧ج٧. وابن ماجه فى سننه كتاب الفتن – بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ ص١٣٣٤ج٢.

ولم ترد هذه المفرده فى القرآن سوى هذه المرة وهى إشارة الى غزار اللطائف والمعانى.

المعنى العام للآية

الآية الكريمة جواب القسم العظيم إذ أقسم الله تعالى على حال من أحوال الإنسان يلازمه منذ ابتداء خلقه.

حتى انتهاء أجله وهو التعب ومواجهة الشدائد على تنوعها وتفاوت درجاتها وفى ذلك تسلية لرسول الله (ﷺ) فيما يعانيه من قومه فى مكة من أهوال وشدائد، وما سيواجهه فى قابل دعوته من صنوف المعاناة التى تستلزم صحبة الصبر لاتساع مساحة الدعوة لتشمل العالمين فى كل الزمان والمكان: "**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**" الأنعام: ٣٤.

مسألة

سجل القرآن فى مواضع متفرقة صورا من الشدائد المصاحبة للإنسان من حمله وولادته إلى قراره فى جنة أو نار أوجزها فيما يلى:

١- الإنسان الأول آدم (عليه السلام) أعظم ما كابده هو مساحة الإختيار فى التكليف الإلهى والتى أثمرت وقوعا فى المعصية بسبب المخالفة الناتجة عن وسوسة وعداوة إبليس ثم التوبة وقبولها من الله ثم الخروج من الجنة قال تعالى: "**وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا**

مِنَ الْخَالِدِينَ* وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ* فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" الأعراف: ١٩ – ٢٤.

وقد عبرت سورة طه عن هذا المصير بالشقاء فقال تعالى: "**فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**" طه: ١١٧.

وقد استمرت مسيرة الكبد مع آدم فيما بعد وكان من عظيم مصابها قتل ولده لأخيه وفى ذلك من الإبتلاء ما فيه.

٢- عداوة إبليس الدائمة لآدم (عليه السلام) وبنيه إلى آخر بشر يخلق فى هذه الدنيا وهى من أشد الشدائد.

إذ يواجه الإنسان تزيين الشيطان وإضلاله وأمره له بتغيير خلق الله وعلى رأس التغيير فطرة التوحيد.

قال تعالى: "**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً * لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً**" النساء: ١١٧-١١٩.

وقال سبحانه: "**قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**" الأعراف: ١٦- ١٧.

"**إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**" لقمان: ٢١ فهى آيات بينات ناطقات

بعظيم العداوة من إبليس لا سبيل للفرار منها إلا بعظيم المجاهدة والتعب في ارضاء الله وإرغام الشيطان.

٣- مجاهدة النفس البشرية لتحقيق الفلاح والنجاة وذلك لما جبلت عليه من الفجور والتقوى يتنازعان الإنسان.

فإما مشقة وشدة تحملها على الطاعة وترك الهوى، وإما زيغ يهوى بها في مطارح الردى قال تعالى مسجلا هذه الحقيقة "**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**" الشمس:٧-١٠.

قال ابن كثير (رحمه الله) قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}** يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، أي: بطاعة الله -كما قال قتادة- وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل. ويُروَى نحوه عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وكقوله: "**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**" الأعلى: ١٤ -١٥".

{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهُدَى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله (عز وجل). وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دَسَّى الله نفسه(١).

وفى الحديث "عن عبد الله قال: قال رسول اللهِ (ﷺ) "إنَّ للشيطانِ لَمَّةً، وللملك لمّة، فأمّا لمّة الشيطانِ؛ فإيعاد بالشرِّ وتكذيب بالحقِّ، وأما لمّة الملَك؛ فإيعاد بالخير وتصديق بالحقّ، فمن وجدَ ذلك؛ فليحمد الله، ومن وجد الآخر؛ فليتعوذ من الشيطانِ" ثمَّ قرأ: **[الشيطان يعدكم الفقر]** الآية:البقرة: ٢٦٨(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ص٤١٢ ج٨.

(٢) صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان- محمد ناصر الدين الألباني ص١١١ج١ قال الألبانى صحيح لغيره. =

٤- على عموم الإنسان من ولد آدم فحديث المكابدة من حيث بدأ خلقه بتعب أمه فى حمله، وتربيته من قبل الوالدين قال تعالى: "**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**" **لقمان:١٤ وقال سبحانه** "**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**" الأحقاف: ١٥.

الأم فى حملها وهو من مراحل الخلق تلقى من التعب والضعف والمشقة ما يقارب الموت وهو ما كشف عنه العلم الحديث إذ يستمد الجنين فى بطن أمه كل مقومات حياته منها وعلى حسابها يقول الدكتور زغلول النجار "يستمد الجنين احتياجاته الغذائية والتنفسية والمناعية جميعها من دم أمه كالأحماض والمواد البروتينية والفيتامينات والهرمونات والأملاح والأكسجين وخلايا المناعة وغيرها فيتم ذلك على حساب احتياجاتها هى، بينما تستقبل الأم الحامل من جنينها السموم التى يفرزها جسمه من مثل البولينا وثانى أكسيد الكربون وغيرهما، نتيجة لذلك يترتب:

١- اضطراب الجهاز الهضمى المصاحب عادة بالقئ والغثيان وسوء الهضم والحموضة الزائدة.

٢- ضغط الرحم على المعدة والكبد خاصة فى الشهور الأخيرة من الحمل.

=الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ط الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. والطبرانى في الكبير ص١٠١ج٩. (اللمة) بالفتح: القرب والإصابة من: الإلمام وهو القرب، والمراد بها: الهمة التي تقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك. ونسب لمة الملك إلى الله تعالى، تنويها لشأن الخير وإشادة بذكره. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة-القاضي البيضاوي ص٨٥ج١ - الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٣- ما يتحمله كل من القلب واوردة وشرايين الجهاز الدورى من جهد زائد لأجل ضخ الدم إلى كل من جسم الأم الذى يزداد وزنا باستمرار، فيرتفع ما يضخه القلب من قرابة سبعة الآف لتر يوميا قبل الحمل إلى تسعة الآف ومائة لتر فى أثناء الحمل، مما يؤدى إلى إجهاد عضلة القلب. وكذا الضغط على الحجاب الحاجز والرئتين مما يحدث ضيق التنفس بسبب زيادة وزن الجنين.

٤- تصاب بعض الحوامل بلين العظام أو هشاشتها لنقص الكالسيوم.

بالإضافة إلى ما تعانيه الأم من صعوبات جسدية فقد تعانى صعوبات نفسية كالشعور المختلف بين الرجاء والخوف والتفاؤل والتشاؤم والفرح والحزن مما تصبح معه فى حاجة لمزيد من الرعاية والعناية الشديدة(١).

ناهيك بعد الولادة من مشاق يعانيها الوالدان وابنهما فى التنشئة والتربية.

وذكر الإمام القرطبى فى تفسيره: أنواعا من الشدائد التى يقاسيها الإنسان فقال "قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطا، وشد رباطا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان.

ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن. ويكابد محنا في المال

(١) الإنسان في القرآن الكريم – د. زغلول النجار ص١١٣- ١١٥ – ط الرياض ١٤٣٦هـ ط أولى.

والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضى عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته؛ ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار؛ قال الله تعالى: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}** فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد. ودل هذا على أن له خالقا دبره، وقضى عليه بهذه الأحوال؛ فليمتثل أمره([1]).

٥- الجزع عند حلول المصائب ونزول الشر يستثنى منه المؤمنون بما هم عليه من حلاوة الإيمان.

قال تعالى: "**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا**" المعارج: ١٩.

قال الرازى فى تفسيره "**قال بعضهم:** المراد بالإنسان ههنا الكافر، وقال آخرون: بل هو على عمومه، بدليل أنه استثنى منه **{إلا المصلين}**. عن أحمد بن يحيى، قال لي محمد بن عبدالله بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله، ولا تفسير أبين من تفسيره، هو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس([2]).

٦- تجاوز الحد فى المعاصى وبطر النعم عند الغنى قال تعالى: "**كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى**" العلق: ٦.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله. ثم تَهدده وتوعده ووعظه فقال: **{إِنَّ إِلَى**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي – ص٦٣ج٢٠- دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – ط ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) تفسير الرازى ص١١٤ج٣٠ – الناشر دار الكتب العلمية- ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م – بيروت.

رَبِّكَ الرُّجْعَـــى} أي: إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك: من أيـــن جمعته؟ وفيم صرفته؟(١) وهذا من الخسران الذى يستثنى منه المؤمنـــون قـــال تعالى "وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُـــواْ وَعَمِلُـــواْ الـــصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ" سورة العصر.

(١) تفسير ابن كثير ص٤٣٧ج٨.

الموضوع الثالث

غرور الإنسان ونكـران النعم

قال تعالى: "**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ*يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَداً * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَـدَيْنَاهُ النَّجْـدَيْنِ**" البلد: ٥- ١٠.

المباحث العربية:

قوله تعالى: "**أيحسب**" الاستفهام مقصود به التوبيخ والتخطئة وهو بذلك إنكار لهذا الحسبان.

"**قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:** يَعْنِي أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَأْخُذُ مَالَهُ. وَقَـالَ قَتَادَةُ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَالَ: ابْنُ آدَمَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُسْأَلَ عَنْ هَذَا الْمَالِ مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ(١).

قال الرازى: "الأفعال على ثلاثة أضرب: الضرب الثالث حسب وأخواتهـا، فتارة تستعمل بمعنى أطمع وأرجو فيما لا يكون ثابتاً ومستقراً، وتـارة بمعنـى العلم فيما يكون مستقراً"(٢).

وبناء على هذا النقل من الفخر الرازى فالإنسان الذى حسب ذلك، حـسبنانه استقرار لديه بعدم قدرة أحد عليه وعدم رؤية أحد له ولا لفعلـه فـآثر القـرآن التعبير بـ"أبحسب" لإفادة هذا المعنى العقلى والنفسى لدى هـذا الـصنف مـن البشر دون "ظن". ومما يقوى هذا الإستنتاج قول الراغب (رحمه الله) "الحـسبان أن يحكم لاحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر ببالـه فيحـسبه ويعقـد عليـه

(١) تفسير ابن كثير ص٣٩٣ج٨.

(٢) تفسير الرازى ص٤٨ج١٢.

الاصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما على الآخر(١).

قوله تعالى: "**أَنْ لَنْ يَقْدِرَ**"

من معانى هذه المفردة الضيق فى المكان والمعيشة كقوله تعالى: "**يَبْسُطُ الرزق لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ**" يضيق عليه معيشته وقوله تعالى: "**فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ**" نضيق عليه.

ومن معانيها القوة والغلبة كما فى الآية الكريمة وفى التسهيل "فيه قولان أحدهما أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه والآخر أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه(٢).

قوله تعالى: "عَلَيْهِ أَحَدٌ" يعني أيحسب الكافر أن لن يقدر الله تعالى عليه يعني على أخذه وعقوبته(٣).

ومفردة أحد استعملت فى القرآن على عشرة معان:-

"**الأَوّل:** بمعنى سيّد المرسلين (ﷺ): {**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ علـى أحَـدٍ**} آل عمران: ١٥٣ {**وَلاَ نُطِيعُ فيكُمْ أَحَداً أَبَداً**} الحشر: ١١ يعنى أحمد.

الثانى: بمعنى بِلاَل بن رَبَاح: {وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تجزى}الليل:١٩ أى لبلال.

الثالث: بمعنى يمليخا أَحدِ فِتية الكهف: {**فابعثوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ**}. الكهف: ١٩

(١) المفردات ص١١٦ج١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ص٢٠٠ج٤ – الناشر دار الكتاب العربي – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م – لبنان.

(٣) بحر العلوم للسمرقندى ص٥٦٠ج٣.

الرّابع: بمعنى زيد بن حارثة مولى النبىّ (ﷺ): {**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ**} الأحزاب: ٤٠.

الخامس: بمعنى فَرْد من الخَلْق من أَهل الأَرض، والسّماء، من المَلَك، والإنس والجنّ والشيطان: {**وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً**}. الكهف: ١١٠.

السّادس: بمعنى دقيانوس: {**وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً**} الكهف ١٩.

السّابع: بمعنى إبليس: {**وَلَن نُّشرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَداً**}الجن:٢.

الثامن: بمعنى ساقى مالك بن الرّيّان: {**قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً**}. يوسف: ٣٦.

التَّاسع: بمعنى الصّنم، والوَثَن: {**وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**} الكهف:٣٨، {**قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ**}. الجن: ٢٢.

العاشر: بمعنى الحقّ الواحد، الصّمد تعالى: {**أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**} {**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**}.(١)

"وإذا لم يكن أحد بمعنى الأول ولا بمعنى الواحد لم يجز أن يتكلم به إلا فى الجحد(النفى) قال الله (ﷻ) فى معنى الجحد "**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**" وقال: "**أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ**" فهذا جحد وقال المفسرون:

أحد فى هذين الموضعين هو الله (ﷻ) معناه أيحسب أن لم يره الله(٢).

قوله تعالى: "**أَهْلَكْتُ**".

عبارات المفسرين فى بيان معنى أهلكت تقول أنفقت إلا أن التعبير بالهلاك له مناسبة للسياق العام للسورة التى تحكى طغيان الإنسان الكافر بربه المغتر بقوته

(١) بصائر ذوى التمييز ص٩٢ج٢.

(٢) الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية لأبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى – مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ط أولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م ص٢٠٨ج٢.

"وعبر عن الانفاق بالإهلاك إظهاراً لعدم الاكتراث وأنه لم يفعل ذلك رجاء نفعه فكأنه جعل المال الكثيرة ضائعاً([1]) ومن المفسرين من جعل ذلك القول من مخصوص وهو أبو الأشد أو الحرث بن نوفل الذى كان يستفتى رسول الله إذا أذنب فيأمره بالكفارات فكان يقول أهلكت مالا كثيرا فى الكفارات منذ تبعت محمدا. على أن هذا القول لم أعثر له على طريق صحيح فى التخريج إذ ذكر دون سند أو بلفظ التمريض" ذكر – روى"، إضافة إلى جو العموم الذى تتحدث عنه السورة الكريمة "قال السهيلي وهذه الآية وان نزلت في أبي الأشد فان الالف واللام في الانسان للجنس فيشترك معه في الخطاب كل من ظن ظنه وفعل مثل فعله وعلى هذا أكثر القرءان ينزل في السبب الخاص بلفظ عام يتناول المعنى العام انتهى([2]).

ولم يرد الهلاك مع المال فى القرآن كله إلا فى هذا الموضع مطاوعة للسياق العام لآيات السورة.

قوله تعالى: "**لُبَداً**".

"شدد الباء أبو جعفر وخففها الباقون([3]).

وأصل المادة يدل على تتابع الشئ بعضا على بعضه وفى اللسان "ومال لبد كثير لا يخاف فناؤه كأنه اللبد بعضه على بعض"([4]).

---

(١) روح المعانى للألوسى ص١٣٦ج٣٠.

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ص٤١٥ج٤. الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

(٣) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية و الدرة – عبدالفتاح القاضى ص٣٦٦ج١.

(٤) لسان العرب ص٣٨٥ج٣. ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ص٣٢٨ج٥.

وهذا المعنى هو ما قال به أهل التفسير من الصحابة والتابعين عن ابن عباس: **(مَالا لُبَدًا)** يعني باللبد: المال الكثير وبه قال مجاهد وقتادة، قال ابن زيد، في قوله: **(مَالا لُبَدًا)** قال: اللبد: الكثير. وقال الضحاك في قوله: اهلكت مالاً لبداً قال: انفقت مالاً في الصد عن سبيل الله(١).

قوله تعالى: "**أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ**"

"حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني أن الله (ﷻ) يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه(٢).

وقد يحمل هذا الأسلوب معنى تكذيب لهذا المدعى فى إنفاقه وأنه أنفقه رياء لا يرجو نفعه، توبيخا بعد توبيخ وتجهيلا بعد تجهيل.

قوله تعالى: "**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ**".

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ "**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**" البلد: ١٠ قَالَ: «الْخَيْرَ وَالشَّرَّ»(٣).

وأصل النُّونُ وَالْجِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اعْتِلَاءٍ وَقُوَّةٍ وَإِشْرَافٍ(٤).

والهداية هنا هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك وهذه الهداية إحدى أنواع الهداية وليست الهداية التامة وإنما طريق إليها وسبب يسلك لرياضها وقد جعلها الله للكافر وغيره

---

(١) يراجع تفسير الطبرى ص٤٣٦ج٢٤ وتفسير ابن أبى حاتم ص٣٤٣٤ج١٠ وتفسير ابن كثير ص٤٠٤ج٨.

(٢) تفسير البيضاوى ص٤٩٣ج٥. إرشاد العقل السليم ص١٦١ج٩.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ص٥٧٠ج٢، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "قال الذهبى فى التلخيص صحيح.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص٣٩١ج٥.

قال تعالى: "**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**" فصلت: ١٧ أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا وقال تعالى: "**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**" الشورى: ٥٢.

وفى التعبير بالهداية إشارة إلى المركوز فى الفطرة من وسائل الإختيار والتمييز بين الخير والشر والهدى والضلال.

وفى الحديث "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ: **{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ}**" الروم: ٣٠"(١).

والإستفهام فى "**ألم**" إما أن يكون للتقرير أى قد جعلنا له ما ذكر من حواس ونعم. وإما أن يكون للإنكار عليه كيف يغفل قدرتنا عليه وقد خلقناه ومنحناه ما هو فيه.

قوله تعالى: "**النَّجْدَيْنِ**"

أصل هذه المادة الدلالة على القوة والإعتلاء والإشراف على الشئ من علو قال ابن جرير "عن عبد الله **(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)** قال: الخير والشرّ(٢).

وفى التعبير عن طريق الخير والشر بالنجدين دون السبيل أو الصراط إشارة إلى أمرين:

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير– بَابُ **{لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}** [الروم: ٣٠]: لِدِينِ اللَّهِ ص١١٤ج٦. قال فى الفتح " قَوْلُهُ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ظَاهِرُهُ تَعْمِيمُ الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ فِي جَمِيعِ الْمَوْلُودِينَ وَأَشْهَرُ الْأَقْوَالِ أَن المُرَاد بالفطرة الْإِسْلَام قَالَ بن عَبْدِ الْبَرِّ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ " فتح البارى لابن حجر ص٢٤٨ج٣.

(٢) تفسير الطبري ص٤٣٧ج٢٤.

١- وضوح الطريقين كوضوح الطريق المرتفع للأبصار يراهما الإنسان ببصره ويدركهما بما منحه الله من وسائل الهداية بالفطرة.

٢- دلالة المادة على القوة والإعتلاء إشارة إلى مشقة الطريقين وحاجة الإنسان لربه فى المعونة على سلوك صراط الخير والنجاة من طريق الشر. وهذا المعنى موافق للسياق العام للسورة الكريمة من حديث المشقة والكبد وتحليق المكاره بطريق الخير، والشهوات بطريق الشر مما يستلزم الإستعلاء على الشهوات للوصول للرحمات.

وفى الحديث "حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"(١).

وفى رواية "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ"(٢).

المعنى العام للآيات

تسجل الآيات الكريمة أمثلة واقعية من المعتقدات الفاسدة والدعاوى الجاهلة التى يعيشها بشر لا يحصيهم إلا خالقهم جل وعلا. هذه المعتقدات حصاد مر نبت وترعرع بماء الغفلة فى أرض الجهالة والجحود لنعم الله التى أفاضها على العباد. فمثال الجحود لوجود الله ورقابته وقدرته على خلقه أعتى هذه الصور فسادا، وهى صور تتكرر على دوام الزمان والمكان، لا سبيل لبترها ولا للحد من شيوع شررها إلا أن يتذكر الإنسان ويثبت فى يقينه عقيدة القدرة الإلهية عليه وفيوضات النعم الربانية إليه، وينفض وساوس النفس والشيطان عنه فيؤمن بأن ما لديه من قدرة هى هبة الله له، يستعين بها على مرضات ربه الذي خلقه ضعيفا ثم منحه القوة يسلبه إياها وقتما شاء. وأن المال وسائر صنوف النعم محض عطايا وهبات من الله تنفق وفق أمره وابتغاء مرضاته، فهو مطلع

(١) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الرقاق بَابٌ: حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ص١٠٢ج٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ص٢١٧٤ ج٤.

عليه عالم به قادر عليه، ودلائل ذلك ظاهرة وباطنة فى تركيب الإنسان، فقد منحه الله الحواس والإدراك والجوارح على أحسن وأقوم ما يكون وركز فى فطرته هدايات الطريق إلى الله، فعينه التى يبصر بها، ولسانه الذى يعبر به عن مكنون رغباته، وشفتاه اللتان يتجمل بهما وما فى الباطن من ملكات التفكير والتمييز والإبداع والسير نحو الهدايات، ما يقيم الحجة عليه إذا انحرف.

مسائل

١- فى قوله تعالى: "**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**" إشارة إلى خلق من خلق الأولين من العتاة الكافرين الذين ظنوا أن لا قوة فوق قوتهم فعطلوا سبل الهداية فيهم وطرقوا سبل الغواية حتى بلغوا فيها الغاية وقد حكى الله عنهم وعن مصيرهم تحذيرا من مشايعتهم قال تعالى: "**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**" فصلت: ١٥.

وعن قوم ثمود قال تعالى: "**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**" فصلت:١٧- ٢٤.

ونظائر ذلك فى القرآن كثير من مثل قوم نوح ولوط وفرعون وغيرهم ممن أنكروا قدرة الله عليهم وردهم إليه يوم القيامة. بل منهم من جحد وجود الإله أصلا وادعى الألوهية كفرعون فطغوا وأفسدوا. ولا زالت تلك السنة الخبيثة قائمة فى المجتمعات البشرية إلى الآن مما يستوجب على المسلمين القيام بدورهم فى الدعوة وهداية البيان واستغلال نعمة العلم وما تكشف من أسرار الكون والخلق فى إرساء وتجلية معانى الإيمان بالله الواحد.

٢- قدرة الله على العباد يقين لا يقبل الشك. وإن كان عند بشر كثير مجرد معتقد احتمالى يحتاج إلى تبصيرهم.

بأنه حقيقة جوهرية لينتظم سلوكهم وتستقيم فطرتهم بعد انحراف، قال تعالى: "**لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**" فصلت: ٤٩ -٥٠.

٣- الآيات توجيه للإنسان ليتدبر وينظر فى وجوه النعم الظاهرة والباطنة، وتمثل النعم الباطنه هداية الله الإنسان لطريقى الخير والشر بما أودع الله فى الإنسان من أسباب ذلك.

"**أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأٌّ رْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**" لقمان: ٢٠.

فمثال النعم الظاهرة: (المال)

وهو عصب الحياة أشبه ما يكون بالدم للإنسان قال تعالي: "**وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً**" النساء: ٥.

وإنفاقه لا بد وأن يكون وفق نظام يقيم المنفعة لصاحبه ولذويه ولمجتمعه، دون إتلاف أو إسراف أو كنز وحبس، أو إنفاق له فى الصد عن سبيل الله، فالله

تعالى الذى استخلف الإنسان فى المال قد شرع طرق كسبه حلالا قال تعالى فى معرض المنة "**اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأٌّ رْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**" إبراهيم: ٣٢-٣٤.

الزراعة وما يتبعها مجالها من وسائل الكسب الحلال، الصيد واستخراج كنوز البحار والأنهار، وسائل الطاقة المولدة من عناصر الأرض وأفلاك السماوات.

التجارة "**وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأٌّ رْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّه**" المزمل:٢٠

ومن المؤكدات على وجوب الحلال: "**يأَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى الأٌّ رْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين**" البقرة: ١٦٨.

"**يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأٌّ رْضِ**" البقرة: ٢٦٧.

ونهى عن أخذه وإنفاقه ظلما ومن صور ذلك الربا وأكل المال بالباطل كالتطفيف وأكل مال اليتيم وغير ذلك.

قال تعالى: "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**" آل عمران: ١٣٠.

"**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ**" النساء: ٢٩.

"**وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**" الأعراف: ٨٥ وذكرت السنة أن الإنسان محاسب عن ماله كسبا وإنفاقا.

جاء فى الحديث "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاه"(١).

ومن هذه النعم أيضا: العين واللسان والشفاه

٤- ذكر العين واللسان والشفاه تنويه بإعجاز عظيم فى العين وتكوينها الدموع وطبقاتها، وعدم ازدواجية الصورة الواحدة فى الإبصار والجفون وما تشكله من سياج حماية على كفاءة دقيقة، والقدرة الإبصارية على تمييز الملايين من الألوان بدقة عالية وغير ذلك مما يحتاج لتدبر طويل ودائب لما فى هذه الجوارح الهامة من وظائف وقدرات(٢) عليها أن توظف فى بناء المعارف والأدلة الموصلة إلى الهداية من خلال النظر والتأمل فى الأنفس والآفاق لتكون أعظم ثمرات هذه المعرفة إسلام وإقامة الوجه لله الذى هو أصل التوحيد الذى تكرر ذكره فى القرآن.

قال تعالى: "**فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للَّه وَمَنِ اتَّبَعَن**" آل عمران: ٢٠

"**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" يونس: ١٠٥.

واللسان وسيلة البيان والتعبير امتن الله به على الإنسان.

"**الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**" الرحمن: ١-٤.

واللسان وسيلة عظمى لنيل الثواب الإلهى بالدعوة إليه تعالى والطاعة بأنواعها التى تترتب على هذه الجارحة.

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه باب فى القيامة ص٦١٢ج٤. وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. والدارمى فى سننه ص٤٥٢ج١.

(٢) موقع إعجاز القرآن والسنة على شبكة الإنترنت.

كما أن اللسان وسيلة للتعارف الإنسانى على اختلاف اللغات وهذا التعارف مطلب قرآنى.

قال تعالي: "**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ**" الحجرات: ١٣.

وأما "**الشفتان**" فهما من ملامح جمال الإنسان، ومن الناحية التشريحية، توجد حزمة متمركزة من العضلات اللافة حول كل من الشفتين، وهى واحدة من مجموعة العضلات المحددة لتعبيرات الوجه... وللشفتين دور مهم في النطق وضبط مخارج الكثير من الحروف. وتتقلص الشفتان أو تتوسعان، وتتحرك في هذه العملية عضلات عديدة بشكل سريع حتي يتحقق النطق عند الإنسان... ولكل إنسان بصمة شفاه تميزه عن غيره. ولا تقل هذه البصمة في شأنها ودقتها عن بصمات البنان والعين والأذن والصوت والرائحة، أو حتى البصمة الوراثية.

الموضوع الرابع

سبل النجـــاة في اقتحام العقبة

قال تعالى: "**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**" البلد: ١١-١٦.

المباحث العربية

قوله تعالى: "**فَلَا اقْتَحَمَ**" اختلف اللغويون والمفسرون في معنى "لا" على أقوال:

الأول: أنها نافية للفعل الماضى والمعنى أنه لم يقتحم العقبة.

وهذا اختيار الفراء والزمخشرى وأبى السعود وقد عقب الزمخشري على من اعترض على ذلك لكونها أى (لا) لم تتكرر في الكلام بأنه مدفوع بتكررها في المعنى فقال: "فإن قلت قلما تقع «لا» الداخلة على الماضي إلا مكررة فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح؟ قلت: هي متكررة في المعنى، لأن معنى فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكينا. ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك(١) على أن هذا التكرار فى العربية محمول على الأكثرية لا على الوجوب كما حققه الآلوسى فى تفسيره فقال "والمتيقن عندي أكثرية التكرر وأما وجوبه فليس بمتيقن(٢).

---

(١) معانى القرآن للفراء ص ٢٦٥ ج ٣ ، وتفسير الكشاف ص٧٥٦ج٤، وإرشاد العقل السليم ص١٦٢ج٩.

(٢) تفسير الآلوسى ص١٣٩ج٣٠. ومغنى اللبيب لابن هشام ص٣٢١ - دار الفكر - بيروت - ط السادسة ١٩٨٥م.

الثانى: أنها للدعاء والفعل "**اقتحم**" بمعنى المستقبل ومعناه الدعاء عليه بـــألا يقتحم العقبة(١).

الثالث: أنها للإستفهام الإنكاري محذوف الأداة مفرعا علـــى جملـــة "**يَقُـــولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَداً**" وما بينهما اعتراض.

والمعنى أفلا أهلك ماله فى القرب وفضائل الأعمال من فك الرقاب وغيـــره. وهذا قول ابن عاشور(٢).

الرابع: أنها للتحضيض كما ذكره صاحب البحر وضـــعفه لأنهـــا لاتكـــون للتحضيض بدون الهمزة. وذكر هذا القول الفخر الـــرازي منـــسوبا للقفـــال(٣). والأقوال الثلاثة الأول محتملة لإنه لما أخبر عنه أنه لم يقتحم العقبة.

كان جديرا بأن ينكر ذلك عليه وأن يُدعى عليه بعدم جوازها أبدا.

وأصل الإقتحام القاء النفس في الأمر بشدة وقد يكون بغير دربة(٤).

والمراد بالإقتحام الدخول فى مكان أو جماعة كثيرة أو أمر شديد.

قوله تعالى: "**الْعَقَبَةَ**" قال صاحب اللسان "والعَقَبةُ طريقٌ فـــي الجَبَـــلِ وَعْـــرٌ والجمع عَقَبٌ وعِقابٌ والعَقَبَة الجبَل الطويلُ يَعْرِضُ للطريق فيأْخُـــذُ فيـــه وهـــو طَويلٌ صَعْبٌ شديد(٥) وهذا المعنى اللغوى لا يختلف عما قال به المفسرون من الصحابة والتابعين.

---

(١) مغنى اللبيب ص٣٢٠، والبحر المحيط ص٣٥٨ ج٨.

(٢) التحرير والتنوير ص٣٥٦ج٣٠.

(٣) البحر المحيط ص٣٥٨ج٨. وتفسير الرازي ص١٦٧ج٣١.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص٦١ج٥.

(٥) لسان العرب ص٦١٩ج١.

"عن ابن عمر في قوله: **(فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ)** جبل من جهنم. وعن الحسن، في قوله:**(فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ)** قال: جهنم"(١).

واستعارة الإقتحام والعقبة للدخول فى العمل الصالح دلالة على ملازمة المشقة والمعاناة لسلوك هذا الطريق المستقيم.

قوله تعالى: "**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ**"

ما هنا للإستفهام أى وأى شئ أعلمك ما العقبة تهويلا وتفخيما لشأنها، والكلام على تقدير محذوف أي وما أدراك ما اقتحام العقبة؟(٢).

والخطاب إما لرسول الله وإما لكل سامع للخطاب قال البقاعى: "**{وما أدراك}** أي أيها السامع لكلامنا، الراغب فيما عندنا **{ما العقبة}** أي إنك لم تعرف كنه صعوبتها وعظمة ثوابها، فلما تفرغ القلب بالاستفهام عما لا يعرفه، وكان الإنسان أشهى ما إليه تعرف ما أشكل عليه، فتشوفت النفوس إلى علمها(٣).

قوله تعالى: "**فَكُّ رَقَبَةٍ**"

الفك لفظ يدل على الفتح بعد الغلق والإنفراج بعد الشدة والضيق، واستصحاب المعنى هنا ذو دلالة إثرائية.

لجوانب من البر العظيم، يستنفر القرآن لها همم المشمرين والراغبين للنجاة "فَكُّ رَقَبَةٍ (فيه وجهان: **أحدهما:** إخلاصها من الأسر.

الثاني: عتقها من الرق، وسمي المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط من رقبته(٤).

---

(١) تفسير الطبرى ص٤٤٠ج ٢٤.

(٢) ينظر تفسير أبى السعود ١٦٢ ج ٩. وتفسير الرازى ص١٦٩ج٣١ ، والخازن ص٤٣٠ج٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعى ص٦١ج٢٢.

(٤) النكت والعيون ص٢٧٩ج٦.

وجمهور المفسرين على ذلك التفسير. وهو تفسير مأثور ورد في الحديث "عن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) فَقَالَ: يَارسول الله، عَلِّمْنِي عَمَلاً يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: "لَئِنْ كنْت أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ: أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ". قَالَ: أَلَيْسَتَا وَاحِدَةً؟ قَالَ: "لا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تُفْرَدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعْطِي فِي ثَمَنِهَا"(١).

ومن التفسير الصوفى المقبول "يفكها من الذنوب والعيوب، أو فكها من رِقّ الطمع في الخلق، فإنه بذر شجرة الذل، أو: فكها من سجن الأكوان إلى فضاء شهود المكوّن، أو: فك رقبة الغافل الجاهل من رِقّ نفسه بتذكيره ووعظه أو تربيته(٢).

وفى التعبير بفك الرقبة تصوير دقيق لما كان عليه حال العبيد من ذل وامتهان للكرامة الإنسانية. وانحطاط فى التعامل، حتى كأنهم الدواب التى تربط بالحبال وتقاد حيث يراد لها، دون مراعاة لمقومات الإنسانية التى منحها.

هؤلاء الذين غلبوا على إنسانيتهم. وفى تضاعيف هذا التعبير إشارة إلى جبروت المترفين من ذوى المال والنفوذ الذين أهلكوا كثرة من أموالهم اتباعا لشهواتهم فى إظهار قوتهم على حساب الضعفاء والفقراء المعدومين، وهو معنى يستقى أصالته من السياق العام للسورة الكريمة.

قوله تعالى: "**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**".

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان– للهيثمى ص١١٩ج٤– دار الثقافة العربية، دمشق ط الأولى، (١٤١١ – ١٤١٢هـ) = (١٩٩٠م –١٩٩٢م). إسناده صحيح. والحاكم في المستدرك ص٢٣٦ج٢ – هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبى. وأحمد في مسنده ٦٠٠ج٣٠.

(٢) البحر المديد لابن عجيبه – ص٤٧٣ج٨.

السغب فى أصل اللغة يدل على الجوع: "قال ابن دريد قال بعض أهل اللغة: لا يكون السَّغَب إلا الجوعَ مع التعب. قال وربَّما سمي العطَش سَغَباً"(١).

"وأوَّلُ مَرَاتبِ الحَاجَةِ إلى الطَّعَام الجُوعُ. ثُمَّ السَّغَبُ. ثُمَّ الغَرَثُ. لمَّ الطَـوَى. ثُمَّ المَخْمَصَةُ. ثُمَّ الضَّرَمُ. ثُمَّ السُّعَار(٢).

وفى الحديث "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه (رضي الله عنهما)، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ (ﷺ): «مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِطْعَامُ الْمُسْلِمِ السَّغْبَانِ"(٣).

وَقَالَ مُجَاهِد مَسْغَبَةٍ مَجَاعَة"(٤).

و"أو" للتنويع وليست للجمع ولذا كان التعبير بها بدلا من الـواو دفعـا لمـا يتوهم من ضرورة الجمع بين هذه الأعمال جميعها.(٥).

ووجه تخصيص الإطعام فى اليوم ذى المسغبة هو ما جبلت عليـه النفـوس غالبا من حب المال والحرص عليه وبخاصة فى زمن المجاعـات خوفـا مـن الهلاك فإخراجه فى هذا الحال انتصار للحق وقياد للنفس إلى أشـرف حالاتهـا وهى اليد العليا المعطاءة.(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ص٧٨ج٣.

(٢) فقه اللغة وسر العربية – الثعالبي – ص١٢٥– الناشر: إحياء التراث العربي– ط الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ص٥٧٠ج٢. هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبى.

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه ص١٦٩ج٦. كتاب التفسير باب لتركبن طبقا عن طبـق – سورة لا أقسم.

(٥) ينظر البحر المحيط ص٤٧١ج ٨.

(٦) ينظر حاشية الصاوى على الجلالين ص٢١٦٥ – التحرير والتنوير ص٣٥٨ج٣٠.

وبين اقتحام العقبة واليوم المسغبة من معانى الشدة فى تصوير قوة النفس المنفقة ما تذهب فيه الأفهام كل مذهب.

قوله تعالى: "**يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**"

"**يَتِيمًا**" اليتم أصله فى اللغة الإنفراد وهو فى البشر من جهة الأب وفى الحيوان من جهة الأم.

قال الراغب: "اليُتْمُ: انقطاع الصَّبيِّ عن أبيه قبل بلوغه، وفي سائر الحيوانات من قِبَلِ أمّه وكلُّ منفردٍ يَتِيمٌ، يقال: دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ، تنبيها على أنّه انقطع مادّتها التي خرجت منها([1]).

وهذا المعنى اللغوى هو ذاته المعنى الشرعى فاليتيم هو من فقد أباه بالموت دون البلوغ([2]).

"**ذَا مَقْرَبَةٍ**"

القرب هو الدنو، وللقرب درجات من حيث المكان والزمان والمكانة والقدرة.

والمراد بالقرب هنا قرب النسب ومنه قوله تعالى: "**وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى**" النساء: ٨، وقوله: "**وَلِذِي الْقُرْبى**" الأنفال: ٤١، وقوله: "**وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى**" فاطر: ١٨.

ووصف اليتيم بالقرب لينضم لليتم القرابة فتتقوى دوافع الإنفاق ليتضاعف أجر العمل. وفى الحديث: "عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ ==

(١) المفردات ص ٨٨٩.

(٢) ينظر النهاية فى غريب الحديث لابن الجزرى ص٢٩١ج٥ – القاموس الفقهى لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب – دار الفكر. دمشق – سورية – ط الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

==عَبْدِ اللَّهِ(١)، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ): أَيُجْزِئُ عَنِّي مِنْ الصَّدَقَةِ النَّفَقَةُ عَلَى زَوْجِي، وَأَيْتَامٍ فِي حِجْرِي؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "لَهَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الصَّدَقَةِ وَأَجْرُ الْقَرَابَةِ(٢).

قوله تعالى: "**أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**"

"**المِسْكِينُ**: من أَذَلَّه الفَقْرُ أَو غَيْرُه من الأَحْوَالِ، قال ابنُ عَرَفَة: فإِذا كانَ مَسْكَنَتُه من جِهَةِ الفَقْرِ حَلَّت لَهُ الصَّدَقَةُ، وكان فَقِيراً مِسْكِيناً، وإِذَا كان مِسْكِيناً قد أَذَلَّه سِوَى الفَقْرِ فالصَّدَقَةُ لا تَحِلُّ له، إِذ كان شائعاً في اللُّغَة أَنْ يُقَال: ضُرِبَ فلانٌ المِسْكِينُ، وظُلِمَ المِسْكِينُ، وهو مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَة واليَسَار، وإِنَّمَا لَحِقَهُ اسمُ المِسْكِين من جِهَةِ الذِّلَّة(٣) هذا بعض ما قيل من أهل اللغة.

وقد عرفه النبى (ﷺ) ففى الصحيح عن "أَبى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الأُكْلَةَ وَالأُكْلَتَانِ، وَلَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًى، وَيَسْتَحْيِي أَوْ لاَ يَسْأَلُ النَّاسَ إِلْحَافًا(٤).

"المتربة" مادة ترب تدل على المعنى وضده فتعنى الفقر وتعنى الغنى " يقال تَرِبَ الرجل إذا افتقَرَ كأنّه لصِق بالتُّراب، وأتْربَ إذا استَغْنى، كأنّه صار له من

(١) هى زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفية، امرأة عبد الله بن مسعود، أسلمت وبايعت، ثم روى لها حديثًا. وكانت امرأة صناعًا وهى التى سألت النبى (ﷺ) عن النفقة على زوجها وأولادهما. تهذيب الأسماء واللغات – للنووى ص٣٤٦ج٢– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي قَرَابَة ص٤٤ج٣. قال الأرنؤوط إسناده صحيح. والمعجم الأوسط للطبرانى ص١٦٦ج٩.

(٣) تاج العروس ص٣٣٥ج١٣.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الزكاة – بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {**لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**} وَكَمُ الغِنَى – ص١١٨ج٢.

المال بقَدْرِ التُّراب(١) وأكثر المفسرين على أن المراد به شديد الحاجة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ﷺ) "أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ" قَالَ: الْمَطْرُوحُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَيْت"(٢).

المعنى العام للآيات

الآيات دعوة خالصة إلى الإهتمام بطوائف من ضعفاء البشر ممن رق حالهم فى أصل حياتهم عبودية ورقا عند أسيادهم ممن يملكونهم، وكذا الذين رق حالهم فى مادة حياتهم فقرا وعوزا.

فالذين وسع الله عليهم مالا وأفاض عليهم نعما، عليهم حقوق وواجبات تجاه هؤلاء المحتاجين مواساة لهم وتضامنا وكفالة لحاجاتهم، فيعتقون العبيد لتعود حريتهم إليهم ويتحررون من قيودهم البغيضة، ويشبعون البطون الخاوية ليتيم قريب عجز عن كسب قوته، إذ ليس له ساع يسعى على أمره، ثم هو صغير لا يقوى على سعى فاجتمع عليه ضعفان يقهرانه إن لم تمتد له يد العناية والرعاية من أبناء دينه ومجتمعه. ولقد نهى القرآن عن قهر اليتيم إما مواجهة حين يسأل، وإما إغفالا حين تنسى هذه الطبقة من المجتمع المسلم. ويلحق باليتيم المسكين الذى أذلته الحاجه حتى لا يجد ما تقوم به حياته. وفى الحديث "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ(٣).

مسائل

١- فتح الإسلام باب التحرير للرقيق من خلال تشريع الكفارات للذنوب التى يرتكبها المسلم حرصا من الإسلام على تقليص الرق والعبودية البشرية، ويلحق

(١) معجم مقاييس اللغة ص٣٤٦ج١.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ص٥٧٠ج٢. وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزكاة- بَابُ فَضْلِ الصَّدَقَةِ ص٥٩٠ج١- تعليق الألبانى صحيح. وأحمد فى مسنده ص١٧١ج٢٦.

بالعبيد الأسرى المسلمين الذين يقعون فى حوزة غير المسلمين وبذلك قال جمع من الفقهاء منهم الإمام أحمد وكثير من المالكية(١). والإقدام على ذلك باب من أبواب تحرير المسلم المحسن المعتق للعبيد من رق العقبات التى تواجهه يوم القيامة ليكون من باب الجزاء من جنس العمل. على أن هذا التشريع سبق به الإسلام غيره من الشرائع والحضارات التى كانت تعمل على تأصيل هذه العبودية. ويعد ذلك التشريع مقصداً من مقاصد القرآن السامية فى تحرير الإنسان سواء ببذل المال المفروض كالزكاة أوبذله من باب التطوع، فمن الفرض قوله تعالي: "**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ**" التوبة: ٦٠.

ومن التطوع الذى هو من ألوان البر كما أكد البارى جل وعلا فى آية البقرة "**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**"البقرة: ١٧٧.

وجعل القرآن من مفردات كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة "**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ**

(١) ينظر الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف – علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي – ص ٢٣٤ ج ٧ دار إحياء التراث العربي– ط الثانية.
البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة – أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ص٢١٥ج١٥– الناشر : دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان – الطبعة : الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. الذخيرة – شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي – ص١٤٧ج٣ الناشر دار الغرب بيروت ١٩٩٤م.

وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" النساء: ٩٢.

وكفارة اليمين: "**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**" المائدة: ٨٩.

وكفارة الظهار

"**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا**" المجادلة: ٣.

على أن كفارتى اليمين والظهار قد اشتملتا على جانب الإطعام مع العتق الذى تتحدث عنه آيات سورة البلد.

ويضم إلى هذه الكفارات فى العتق والإطعام كفارة المفطر عمدا كما جاء فى صحيح السنة أن أَبَا هُرَيْرَةَ (ﷺ)، قَالَ" بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ)، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ (ﷺ)، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ – وَالعَرَقُ المِكْتَلُ – قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا – يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ – أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ (ﷺ) حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ:أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ(١).

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الصيام بَابُ إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ، فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ – ص٣٠ج٣.

وقد جاء فى السنة من باب الحض علـــى فـــضل فـــك الرقـــاب وعتقهـــا، قوله (ﷺ): "أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْـــهُ مِنَ النَّارِ" وفى رواية "مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُـــضْوًا مِـــنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ"(١).

٢- إطعام الطعام من القربات وقد جعل الله ذلك من صفات الأبـــرار قـــال تعالى: "**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَـــشْرَبُ بِهَـــا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَـهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا**". الإنسان: ٥- ٩.

وورد فى فضل الإطعام من السنة "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِـــيَّ (ﷺ)": أَيُّ الإِسْـــلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"(٢).

و"**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** (ﷺ): "إِنَّ اللهَ (ﷻ) يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَـــالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُـــكَ؟ وَأَنْـــتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْـــتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَـــالَ: يَـــا

(١) الرواية الأولى أخرجها البخاري فى صحيحه كتاب العتق – باب فى العتـــق وفـــضله – ص١٤٤ج٣. والرواية الثانية أخرجها مسلم ف صحيحه كتاب العتق – باب فضل العتق – ص١١٤٧ ٢.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان – باب إطعام الطعام من الإسلام ص١٢ج١. ومسلم كتاب الإيمان بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ– ص٦٥ج١.

رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي(١).

وفى الحديث" أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ (ﷻ)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا"(٢).

٣- معونة الله ومضاعفة الأجور لمن أطعم الطعام، ففى الحديث عَنْ عَائِشَةَ، ذَبَحُوا شَاةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَقِيَ إِلَّا كَتِفُهَا؟ قَالَ: "كُلُّهَا قَدْ بَقِيَ إِلَّا كَتِفَهَا"(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ – ص١٩٩٠ج٤.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ص٤٥٣ج١٢- وفى الأوسط ص١٣٩ج٦. قال الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره – صحيح الترغيب والترهيب- محمد ناصر الدين الألباني-ص٣٥٩ج٢- مكتبة المعارف – الرياض -ط الخامسة.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ص٢٨٦ج٤٠. قال الأرنؤوط إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ – ص١٠٤ج٢. ومسلم فى صحيحه كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا- ص٧٠٢ج٢.

وفى حديث بدء الوحي ردت أم المؤمنين خديجة على رسول الله فقالت: "كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"(١).

٤- الآيات تحذير وترهيب من عدم الحض على إطعام الطعام أو منعه وقد وردت آيات فى مواطن أخرى تعاضد هذه الآيات فى تأكيد عقوبة ومصير المانعين لهذه القربات والطاعات قال تعالى مبينا أسباب استحقاق أهل الشمال لمصيرهم: "**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ *وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**" الحاقة:٣٠ -٣٤.

وقال تعالى فى تعداد صفات المكذبين بالدين: "**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**" الماعون:١-٣.

وقال تعالى فى معرض ذكر أسباب ضيق الرزق: "**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ *كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ *وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**" الفجر:١٦- ١٨.

والآيات بكل ما تقرر من معان دقيقة فى وصف الحاجة للطعام بالمسغبة والمتربة، وما تحويه من دلالات الضعف للموصوفين بذلك، سبقت حضارات العالم وقوانينه السابقة والحالية فى الدعوة للإغاثة الحقة المجردة عن الغرض الدنيوى على مستوى الأفراد والدول. وأعظم بذلك من قانون قرآنى عظيم لا تهلك فيه الفئات المعدومة لحساب أخرى قد حازت من الثروات والغنى ما يفوق الوصف.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ – ص٦ج١. ومسلم فى صحيحه كِتَابُ الْإِيمَانَ – بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ)- ص١٣٩ج ١.

الموضوع الخامس

بشارة المؤمنين ووعيد الكافرين

"**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ**" البلد:١٧– ٢٠.

المباحث العربية:

قوله تعالى: "**ثُمَّ كَانَ**" فيها أقوال: **الأول:** أنها للعطف وتفيد هنا التراخي الرتبي بمعنى أن المعطوف بها أعلى وأرقى رتبة على المعطوف عليه في الغاية المقصودة من الخطاب فى هذا الموطن.(١)

الثانى: أنها كالواو لمطلق الجمع "حكى أبو محمد عبد المنعم بن الفرس في مسائله الخلافيات، إلى أن ثم بمنزلة الواو، لا ترتب. ومنه عندهم: "**خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**"، ومعلوم أن هذا الجعل كان قبل خلقنا(٢).

الثالث: أنها لمجرد الترتيب فى الذكر فتقع ثم في عطف المتقدم بالزمان، اكتفاء بترتيب اللفظ. كقول الشاعر:

إن من ساد ثم ساد أبوه ** ثم قد ساد قبل ذلك جده(٣)

وعلى هذا فالفاعل لما تقدم من مفردات اقتحام العقبة لا بد من تحقق الإيمان فيه ليقبل منه ذلك.

---

(١) ينظر تفسير الكشاف ص٧٥٧ج٤.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني– ابن أُمّ قَاسِم المرادي – ص ٧٢.

(٣) خزانة الأدب– عبد القادر البغدادي ص١٠٥ج٤. والبيت لأبى نواس – ينظر ديوانه ص٣٥٥.

قوله تعالى: "**وَتَوَاصَوْا**"

"وصى الشيء وصيا اتصل و أيضا: (وصل) وفي الصحاح: أرض واصية متصلة النبات، وقد وصت الأرض إذا اتصل نبتها(١).

"والْإِيصَاءُ طَلَبُ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِهِ لِيَفْعَلَهُ عَلَى غَيْبٍ مِنْهُ حَالَ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ(٢).

فالوصية طلب فعل الشئ باتصال ودوام فى الحياة وبعد الممات كعهد بين أفراد الوصية يلتزمون به.

قوله تعالى: "**بِالصَّبْرِ**"

عرف الإمام الغزالى الصبر بقوله: "الصبر عِبَارَةٌ عَنْ ثَبَاتِ بَاعِثِ الدِّينِ فِي مُقَابَلَةِ باعث الشهوة"(٣).

وقال ابن حجر: "حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْمَكْرُوهِ وَعَقْدُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى وَالْمُكَابَدَةُ فِي تَحَمُّلِهِ وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ"(٤).

ومتعلقات الصبر متعددة فإن كان على المصيبة أطلق عليه صبر فقط، وإن كان على جهاد عدو سمى شجاعة

وإن كان على ترك معصية سمى عفة وإن كان على حفظ السر سمى كتمانا، وإن كان فى احتمال الغنى والثراء سمى ضبط النفس، وفى كظم الغيظ

---

(١) تاج العروس ص٢٠٨ج٤٠. وينظر شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم– نشوان بن سعيد الحميرى – ص٧١٩٣ج١١. الناشر: دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان دار الفكر – دمشق – سورية – ط الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) المغرب فى ترتيب المعرب – برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ – ص ٤٨٧– ط دار الكتاب العربي.

(٣) احياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ص٦٣ج٤.

(٤) فتح البارى لابن حجر ص٣٠٣ج١١.

والغضب يسمى حلما. إلى غير ذلك من متعلقات وأقسام لهذه المفردة الجامعة لعظيم الأحوال والأعمال.

قوله تعالى: "**بِالْمَرْحَمَةِ**"

فى اللسان "رحم: الرَّحْمة الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والمرْحَمَةُ مثله"(١) والمرحمة مصدر ميمى.

والمصدر الميمى الذى بدء بميم زائدة له اتساع فى الدلالة عن المصدر الأصلى وهى بيان كثرة الحدث والحامل عليه والداعى إليه، فرحمة المؤمنين التى يتواصون بها تتوالى على الداوم فى أفعالهم وسلوكهم لكثرة ما تستوجبه من ضعف وفقر وحاجة فى الآخرين من إنس وطير وحيوان وغيره، مع احتياج الراحم لرحمة الله لتوالى قصوره عن الوصول بعمله إلى مقام النجاة فيدركه برحمة غيره وفى الحديث "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"(٢).

وذكر الصبر والرحمة دون غيرهما من صفات الإيمان "لِأَنَّ ذَلِكَ أَشْرَفُ صِفَاتِهِمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِلَاكُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ كَبْحِ الشَّهْوَةِ النَّفْسَانِيَّةِ وَذَلِكَ مِنَ الصَّبْرِ.

وَالْمَرْحَمَةُ مِلَاكُ صَلَاحِ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَالَ تَعَالَى: "**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**" الْفَتْح: ٢٩ (٣).

---

(١) لسان العرب ص٢٣٠ج١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه –باب في الرحمة – قال الألبانى صحيح – ص٢٨٥ج٤. والترمذى في سننه – باب ما جاء في رحمة المسلمين – قال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ – ص٣٨٧ج٣.

(٣) التحرير والتنوير ص٣٦١ج٣٠.

وتقديم الصبر على المرحمة لتقدم ما يستوجب الصبر أولا من ذكر المشقة والمكابدة فى الخلق ثم السعي لاقتحام الشدائد والعقبات، ثم ذكر المرحمة تالية للصبر لتوالى مظانها بعد موجبات الصبر.

وفى سورة العصر ذكر التواصى بالحق أولا ثم التواصى بالصبر لسبق ذكر الخسران الناتج عن ترك الحق من باب ذكر السبب والمسبب وهو ما يستدعى لرفع الخسران الصبر على تبعات الحق. وهذا من متشابه القرآن الذى أحكم الله نظمه لفظا ومعنى.

قوله تعالى: "**أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**"

قال الماوردى: "أصحاب الميمنة الذين أخذوا من شق آدم الأيمن قاله زيد بن أسلم.

الثاني: أن أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أن أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات، قاله ابن جريج.

الرابع: أن أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم، قاله الحسن.

الخامس: أن أصحاب الميمنة أهل الجنة، قاله السدي.([1]).

ولا تنافى بين هذه الأقوال فهى أطوار سلمت بعضها لبعض حتى استقروا فى جنة ربهم.

والتعبير باسم الإشارة للبعيد تنبيه على بعد منزلتهم فى النعيم، والإضافة فى: "**أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**" تنويه على أنهم مالكون لها لا ينفكون عنها وفى التنزيل: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**" الكهف: ١٠٧- ١٠٨.

(١) تفسير النكت والعيون ص٤٤٨ج٥. والتسهيل لعلوم التنزيل ص٢٠١ج٤.

قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ**"

شأم مادة تدل على الجهة اليسرى وتحمل معنى الشؤم قال الماوردى فيه خمسة أقوال:

"**الأول:** أصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: أصحاب المشأمة من أوتي كتابه بيساره، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أصحاب المشأمة هم أهل السيئات، قاله ابن جريج.

الرابع: أصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم، قاله الحسن.

الخامس: أصحاب المشأمة أهل النار، قاله السدي.

وقوله: "وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَآ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ" لتكثير ما لهم من العقاب"(١) "**مُّؤْصَدَةٌ**"

"قال أبو هريرة، وابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، وعطية العوفي، والحسن، وقتادة، والسدي: **{مُؤْصَدَةٌ}** أي: مطبقة – قال ابن عباس: مغلقة الأبواب. وقال مجاهد: أصد الباب بلغة قريش: أي أغلقه. وسيأتي في ذلك حديث في سورة: **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}**

وقال الضحاك: **{مُؤْصَدَةٌ}** حيط لا باب له.

وقال قتادة: **{مُؤْصَدَةٌ}** مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج، ولا خروج منها آخر الأبد.

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يَخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى

(١) تفسير الماوردى ص٤٤٨ج٥.

جهنم، ثم أوصدوها عليهم، أي: أطبقوها – قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا. رواه ابن أبي حاتم.(١).

وقد صرح فى الآية بمصير الكافرين لمناسبة السياق العام للسورة قال الآلوسى (رحمه الله).

"وصرح بوعيدهم ولم يصرح بوعد المؤمنين لأنه الأنسب بما سيق له الكلام والأوفق بالغرض والمرام ولذا جيء بضمير الفصل معهم لإفادة الحصر واعتبروا غيباً كأنهم بحيث لا يصلحون بوجه من الوجوه لأن يكونوا مشاراً إليهم"(٢).

وقدم الجار والمجرور لإفادة الحصر وأن النار مطبقة على الكافرين دون غيرهم من عصاة المؤمنين إذ يخرجون برحمة الله بعد استيفاء ما عليهم.

المعنى العام للآيات

يرتبط الإيمان والعمل الصالح أعمال القلوب والجوارح ارتباطا وثيقا كالروح والجسد وقد وردت فى شأن هذا الإرتباط عشرات الآيات مؤكدة أن القبول المترتب عليه فلاح الدارين ثمرة هذه الصلة بين الإيمان والعمل.

"**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**" البقرة: ٨٢.

"**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**" البقرة: ٢٧٧.

(١) تفسير ابن كثير ص٤٠٩ج٨.

(٢) روح المعانى ص١٤٠ج٣٠.

والسورة الكريمة ربطت فوز وفلاح الذي عمل القربات من فك الرقاب وإطعام الطعام بانضوائه تحت لواء الإيمان والعمل الصالح، والسورة بهذا تفيدنا نموذجا راقيا من التربية والنشأة على الترابط الإجتماعى الموصول بالله تعالى، وفى تضاعيف هذا البيان تنبيه على سلاحين من أقوى وأبقى أسلحة الإستعانة على الصالحات سلاح الصبر وسلاح التراحم وذلك لمقام الصبر والرحمة من الإيمان قال ابن مسعود "الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ(١).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(٢).

أولئك أصحاب المنزلة الطيبة من عطاء الله لهم.

ثم يتوعد الله الكافرين بآياته درا البوار والخسران، حيث لا نجاة لهم منها بما قدمت أيديهم من كفر بربهم، جلب لهم سوء العاقبة وشؤما يلازمهم على الدوام، وفى هذا الوعيد تنفير وتحذير من سلوك طرقهم وتتبع سننهم.

قال تعالى: "**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**": المائدة: ١٠.

"**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**" العنكبوت: ٢٣.

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه ص٤٨٤ج ٢. وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ – ص١٩٩٩ج٤.

مسائل

١- ارتباط العمل الصالح بالإيمان ركيزة من ركائز التفاعل الإيجابى من المؤمنين مع الحياة، وهو مما يؤصل لصلاحية الإسلام على الدوام في تسنم قيادة العالم إلى الخير والفلاح ما داوم المؤمنون على تعاليمه واستنهضوا روحه فى تضاعيف أحوالهم جميعا صغيرها وكبيرها مستصحبين التواصى بالصبر على المكاره والثبات على الطاعات وإفاضة خلق الرحمة على الخلق جميعا.

وهؤلاء لهم من خالقهم عظيم التكريم فهم:-

- أهل الأمن والسرور قال تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**" البقرة: ٢٧٧.

- أصحاب الهداية: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**" يونس: ٩.

- لا يضيع الله لهم أجرا: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**" الكهف:٣٠-٣١.

- أرفع الدرجات والمنازل فى الآخرة: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**" الكهف ١٠٧ – ١٠٨.

وفى الحديث "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا

سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّــةِ – أُرَاهُ – فَوْقَــهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ"(١).

– أهل المحبة والود من ربهم ولدى أهل السماء والأرض: "**إِنَّ الَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**" مريم: ٩٦ وفى الحديث "إِذَا أَحَــبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ "، قَالَ: " فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ المَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: "**إِنَّ الَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**"(٢).

– أصحاب الأجر التام بلا حساب عند ربهم

قال تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُــمْ أَجْــرٌ غَيْــرُ مَمْنُــونٍ**" فصلت: ٨.

قال البخارى (رحمه الله): "قَالَ مُجَاهِدٌ: "لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" "مَحْسُوب"(٣).

– خير البرية قال تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُــمْ خَيْــرُ الْبَرِيَّةِ**" البينة: ٧.

٢– الإستعانة بالصبر والتواصى به من لوازم الحفاظ على الدين، وهو مــن صفات الخاشعين

قال تعالى: "**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَــى الْخَاشِــعِينَ**" البقرة: ٤٥.

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الجِهَادِ وَالسِّيَرِ– بَابُ دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِــي سَــبِيلِ اللَّهِ ص١٦ج٤.

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه تفسير القرآن – بَابٌ: وَمِنْ سُــورَةِ مَــرْيَمَ – ص٣١٧ج ٥– وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. والبزار فى مسنده ص٢٩ج١٦.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سُورَةُ حم السَّجْدَةِ ص١٢٧ج ٦.

ومن عطاء الله للصابرين:

- ثبوت المعية الإلهية

قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**" البقرة ١٥٣ وقوله تعالى: "**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**" البقرة: ٢٤٩.

- البشارة للصابرين من ربهم قال تعالى: "**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" البقرة: ١٥٥- ١٥٧.

- محبة الله للصابرين قال تعالى: "**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**" آل عمران ١٤٦.

- توفية الأجر بلا حساب: "**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**" الزمر: ١٠.

- انتفاء الخسران عن المتواصين بالصبر قال تعالى: "**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**" سورة العصر

٣- سوء عاقبة الكفر بالآيات الإلهية بدوام العذاب وتعدد صنوفه قال تعالى: "**وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**" البقرة: ٣٩

"**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**" النساء: ٥٦.

"**وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**" الإسراء: ٩٧-٩٨.

"**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**" الحج: ٥٧.

تتمة:

مما يلاحظ عند الإستقراء لسور القرآن انفراد كل سورة بمفردات لا توجد فى سورة غيرها، ويعد ذلك من المزايا والخصائص التى لا تنتهى عجائبها فى أداء القرآن المعجز على كافة وجوه الإعجاز، مما يدل على تناهى الكمال والدقة التى لا تقبل البدل. وبما أن المقصود الأعلى لسورة البلد هو إثبات الضعف البشرى ونفى القدرة المطلقة عن الإنسان وإثباتها لله الواحد الديان، ثم ما يليه من مقصد الحض على فعل الخيرات وإتيان الصالحات، جاءت فى السورة الكريمة مفردات خاصة لم ترد فى غيرها تعبر عن هذه المقاصد بدقة بالغة. أولها "**الكبد**" الذى يوحى بشدة الخلق وإحكامه دلالة على صعوبة الغرض الذى لأجله خلق الإنسان، فليس له أن يظن القدرة فى نفسه بما استخلف فيه من مال تتابع وتراكم كثرة عبر عنه بمفردة "**لبدا**" وأنه بمنأى عن حساب الله وعقابه، وغاية الوصول إلى الله تستوجب مواجهة ومجاهدة لا سبيل لحصولها إلا بأسلحة قادرة على ذلك منها جارحة اللسان المعبر الناطق تخرج كلماته من منفذ حاكم هما الشفتان، ثم هداية لطريق وعر ليس بذلول إلا باقتحامه ومواجهة أهواله عبرت عن هذه الأهوال مفردة "**اقتحم – العقبة – فك – مسغبة**" كاشفة ومفضية إلى طبيعة ما يجب فعله من قضاء على شدائد تأكل من تحل بهم وتفتك، هذه الشدائد على رأسها انعدام القدرة على إيجاد الطعام وهو فى اليتيم ذى القربى والمسكين ذى الحاجة آكد فى القضاء عليه.

وإذا لم تتوافر المرحمة ذات المعنى الزائد على الرحمة فى القائمين على تنفيذ شرائع الدين لتلاشت القدرة على هذا الجهاد العظيم. ثم تختم السورة بمفردة " مؤصدة "مصورة لعذاب الكافرين بالله وآياته تحمل معنى اليأس من الخروج من عذاب الله، إذ هى مطبقة عليهم قد جعلتهم كأنهم جزء لا ينفصل عنها.

والحمد لله رب العالمين

خاتمة

الحمد لله في بدء ومختتم والصلاة والسلام على النبى ذى الكرم

وبعد،،،

هذا البحث حاولت فيه الكشف عن جانب من عظمة البيان في النص القرآنى لسورة البلد بما فيه من بليغ التعبير وصادق الهداية، تلك السورة الكاشفة لجوانب من طغيان النفس البشرية في مواجهة رسالات الإصلاح التى جاء بها الرسل وفى القلب منهم سيدنا الأعظم رسول الله (ﷺ)، حيث استحلال المشركين ايذائه طغيانا منهم بمدد النعم الربانية التى منحوها قوة ومالا، ثم إلى عرض سبل الهلاك وأطواق النجاة وعاقبة السالكين للطريقين، وكان عمدة الإعتماد على الله وآياته المفسرة لبعضها بعضا، مشفوعا بالهدى النبوى الشريف من الأحايث الشارحة، ثم أقوال اللغويين والمفسرين.

وخلاصة توصيات البحث ما يلى:

١- إظهار الدراسات التفسيرية التى تعنى بإظهار وجوه الهدايات القرآنية.

٢- الإهتمام بإبراز أسرار المفردة القرآنية في جوانبها العليا المستوعبة لكافة الدلالات العلمية والتشريعية والإجتماعية.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن.

١ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**- أحمد بن محمد عبد الغني الدمياطيّ، ط: دار الكتب العلمية – لبنان- الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

٢ **الإتقان في علوم القرآن**- عبد الرحمن بن أبي بكرجلال الدين السيوطي – المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب –الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣ **أحكام القرآن** – ابن العربى المالكى – دار الكتب العلمية بيروت.

٤ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** – للإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى – ط دار المصحف بالقاهرة.

٥ أسباب النزول – أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٦ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**- محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي – الناشر دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٧ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**- ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمدالبيضاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٨ **بحر العلوم** – أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي – دار النشر دار الفكر – بيروت.

٩ **البحر المحيط**- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي- دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

١٠ **البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد** - للإمام أحمد بن محمد المهدى/ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

١١ **البدور الزاهرة فى القرءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة** – عبدالفتاح القاضي.

١٢ **بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز** - مجد الدين الفيروزابادى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

١٣ **التحرير والتنوير** - للإمام الطاهر بن عاشور/ط/ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

١٤ **التسهيل لعلوم التنزيل** – ابن جزي – دار الكتاب العربى لبنان- ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٥ **تفسير القرآن** – أبو المظفر منصور بن محمد المروزى السمعاني – الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية.

١٦ **تفسير القرآن العظيم** – عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم -مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – ط الثالثة – ١٤١٩هـ.

١٧ **تفسير القرآن العظيم** – للحافظ عماد الدين ابن كثير /ط/مكتبةالإيمان ببريدة السعودية.

١٨ **تفسير المنار** – للشيخ الأستاذ: محمد رشيد رضا/ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

١٩ **جامع البيان فى تفسير القرآن** - للإمام محمد بن

جرير الطبرى/ط/مكتبة ابن تيمية بالقاهرة – تحقيق: محمود محمد شاكر /ط الثانية.

٢٠ **الجامع لأحكام القرآن** – للإمام أبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى ط/ عالم الكتب الرياض السعودية ١٤٢٣هـ.

٢١ **الجواهر الحسان فى تفسير القرآن** – للإمام الثعالبى/ط/ مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت.

٢٢ **حاشية الصاوي على الجلالين.**

٢٣ **حدائق الروح والريحان فى روابى علوم القرآن**– محمد الأمين الهررى– دار طوق النجاة – بيروت لبنان– ط أولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

٢٤ **الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح** – ابن أبى الأصبع المصرى.

٢٥ **روح البيان** – اسماعيل حقى الخلوتى – دار الفكر بيروت.

٢٦ **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى** – للإمام شهاب الدين محمود الآلوسى – ط/دار إحياء التراث العربى.

٢٧ **زاد المسير فى علم التفسير** – للإمام أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى – ط/ دار الكتاب العربى بيروت ط أولى ١٤٢٢هـ.

٢٨ **السبعة فى القراءات** – ابن مجاهد– ط دار المعارف القاهرة ط الثانية ١٤٠٠هـ.

٢٩ **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير** – شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي – مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة.

٣٠ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**– محمد

بن علي الشوكاني – ط: دار الفكر – بيروت.

٣١ **فنون الأفنان فى عيون علوم القرآن**– أبو الفرج بن الجوزى – دار البشائر بيروت لبنان – ط أولى ١٤١٤هـ.

٣٢ **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية** – نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني– الناشر: دار ركابى للنشر مصر: ١٩٩٩م.

٣٣ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** – محمود بن عمر الزمخشري– دار الكتاب العربى.

٣٤ **الكشف والبيان** – أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري– الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

٣٥ **لباب التأويل فى معانى التزيل** – للإمام حسن بن على بن محمد الشهير بالخازن – ط/مصطفى البابى الحلبى وشركاه بمصر ط الثانية

٣٦ **اللباب في علوم الكتاب** – سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

٣٧ **محاسن التأويل**– محمد جمال الدين بن محمد القاسمي دار الكتب العلميه – بيروت – ط الأولى – ١٤١٨هـ.

٣٨ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي – دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م – الطبعة: الأولى.

٣٩ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** – أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي– الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى،

١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤٠ **معالم التنزيل** / للإمام الحسين بن مسعود البغوى/ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط الرابعة ١٤١٧هـ.

٤١ **معانى القرآن** – أبو زكريا الفراء – دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ط أولى.

٤٢ **مفاتيح الغيب** / للإمام فخر الدين الرازى/ط/دار الفكر بيروت ط أولى ١٩٨١م.

٤٣ **المفردات في غريب القرآن** – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى – دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٤٤ **النكت والعيون** – محمد بن جبيب الماوردى – ط دار الكتب العلمية بيروت.

ثالثاً: كتب الحديث والتخريج والتراجم

٤٥ **إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**– عياض بن موسى بن عياض اليحصبي – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر– الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤٦ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** – محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري – دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٧ **الجامع الصحيح** – للحافظ محمد بن عيسى الترمذى/ط/ مصطفى البابى الحلبى مصر١٣٩٥هـ.

٤٨ **السلسلة الضعيفه** – محمد ناصر الدين الألبانى/ط/ مكتبة المعارف الرياض.

٤٩ **سنن ابن ماجـــه** – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني–المحقق: شعيب الأرنؤوط – ط دار الرسالة العالمية– الطبعة: الأولـــى ١٤٣٠هـــ – ٢٠٠٩م.

٥٠ **سنن أبى داود** – للحافظ سليمان بن الأشـــعث السجـــستانى/ط/إحيـــاء التراث العربى، و ط دار الفكر – ت: محمد محى الدين عبد الحميد مع تعليق الألبانى.

٥١ السنن الكبرى– أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النـــسائي – الناشـــر: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٥٢ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** – القاضي عياض بن موسى اليحصبي الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤٠٩هـــ – ١٩٨٨م.

٥٣ **صحيح ابن حبان** – للحافظ محمد بن حبان التميمى/ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ط الثانية ١٩٩٣م.

٥٤ **صحيح البخارى** – محمد بن إسماعيل – ط دار طوق النجـــاة ط أولـــى ١٤٢٢هـ.

٥٥ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – أحمد بن علي بن حجر – الناشر: دار المعرفة – بيروت– ١٣٧٩هـ.

٥٦ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** – للحافظ نور الدين الهيثمـــى/ط/ مكتبـــة القدسى القاهرة ١٤١٤هـ.

٥٧ **المستدرك على الصحيحين** – للإمام أبى عبد الله الحاكم/ط/ دار الكتـــب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٩٠م.

٥٨ **مسند الإمام أحمد** – للإمام أحمد بن حنبل/ ط المكتـــب الإســـلامى/ط

مؤسسة قرطبة القاهرة – ت/ شعيب الأرناؤوط.

٥٩ **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابور– الناشـــر: دار إحيـــاء التراث العربي – بيروت.

٦٠ **المعجم الأوســـط** – الطبرانـــي –الناشـــر: دار الحـــرمين – القـــاهرة، ١٤١٥هـــ.

٦١ **المعجم الأوسط** – للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى/ط/ دار الحرمين القاهره.

٦٢ **المعجم الكبير** – للإمام الطبرانى/ مكتبة ابن تيمية القاهرة ط الثانية .

٦٣ **المُعْلم بفوائد مسلم** – أبو عبد الله محمد بن علي المازري المـــالكي – الدار التونسية للنشر – المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراســـات بيت الحكمة– ط الثانية، ١٩٨٨م.

رابعاً: كتب اللغة والفقه والعقيدة وكتب عامة

٦٤ **احياء علوم الدين** – أبو حامد محمد بن محمـــد الغزالـــي الطوســـي– الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٦٥ **أساس البلاغه** – العلامه جار الله الزمخشرى/ ط/ دار صادر بيـــروت ١٩٧٩م.

٦٦ **الإنسان فى القرآن الكـــريم** – د. زغلـــول النجـــار – ط الريـــاض – ط أولى ١٤٣٦هـــ.

٦٧ **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف** – أبو الحسن علي بن ســـليمان بن أحمد المَرْداوي – الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – مصر – الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـــ – ١٩٩٥م.

٦٨ **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة** – أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد– دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٦٩ **تاج العروس**– محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى/ط/ دار الجيل

٧٠ **التعريفات** – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني –الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٧١ **تهذيب الأسماء واللغات** – أبو زكريا النووي – دار الفكر بيروت.

٧٢ **التوقيف على مهمات التعاريف** – محمد عبد الرؤوف المناوي – ط دار الفكر المعاصرالفكر – بيروت، دمشق – ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٧٣ **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**– القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري – دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م – الطبعة: الأولى.

٧٤ **الجنى الداني في حروف المعاني** – ابن أُمّ قَاسِم المرادي.

٧٥ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** – عبد القادر بن عمر البغدادى – الناشر دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م.

٧٦ **الخصائص** – ابن جنى – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧٧ **الذخيرة** – شهاب الدين أحمد بن إدريس بالقرافي – دار الغرب الإسلامي– بيروت ط الأولى ١٩٩٤م.

٧٨ **الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية** – أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي– مركز الدراسات والبحوث اليمنى –صنعاء ط أولى ١٤١٥هـ–١٩٩٤م.

٧٩ **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** – نشوان بن سعيد الحميرى اليمني – الناشر: دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان – ط الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٨٠ **فقه اللغة وسر العربية** – أبو منصور الثعالبى.

٨١ **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا** – الدكتور: سعدي أبو حبيب – دار الفكر. دمشق – سورية – الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٨٢ **القاموس المحيط** – للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى/ ط/ مصطفى البابى الحلبى بمصر ط الثانية ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

٨٣ **لسان العرب**– العلامة محمد بن مكرم بن منظور/ط/ دار صادر بيروت

٨٤ **مختار الصحاح** – لأبى بكر عبد القادر الرازى/ط/ دار المنار القاهرة.

٨٥ **المصباح المنير** – للإمام أحمد بن محمد الفيومى/ط/ المكتبة العلمية بيروت لبنان.

٨٦ **معجم مقاييس اللغة**–أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا– الناشر: دار الفكر–ط ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٨٧ **المغرب في ترتيب المعرب** – أبو الفتح عبد السيد بن علي بن المطرز مكتبة أسامة بن زيد – حلب – ط أولى ١٩٧٩م.

٨٨ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** – جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام – دار الفكر – بيروت – الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	٧٨٣
الملخص باللغة الإنجليزية	٧٨٤
المقدمة	٧٨٥
التمهيد	٧٨٦
الموضوع الأول: القسم بمكة المكرمة وساكنها (ﷺ)	٧٩٠
الموضوع الثاني: المقسم عليه: الإنسان من المولد إلى الوفاة بين آلام الحياة وآمالها.	٨٠٦
الموضوع الثالث: غرور الإنسان ونكران النعم	٨١٨
الموضوع الرابع: سبل النجاة في اقتحام العقبة	٨٣٠
الموضوع الخامس: بشارة المؤمنين ووعيد الكافرين	٨٤٣
الخاتمة	٨٥٤
المصادر والمراجع	٨٥٥
فهرس الموضوعات	٨٦٤